

کامیل محمد عجلان

سلطان العلماء

الأهماء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الى صاحب النور الخالد ...

أيها النبي العربي الكريم ...

بجهدك في سبيل الله، بعثت أمة، وأفمت دولة، وأرسيت
أسس حضارة حافلة بالابحار والمفاخر، وجعلت - صلوات الله
عليك - من العلماء قواما على ميراث نبوتك، خلقاء أن تكون
بأيديهم مقاليد الفتح والهداية والنهوض.

وهذا قبس من نورك الخالد، قد ضاعت به صفحة من تاريخ
مصر المسلمة، ومن حياة علماء الاسلام في الشرق.

فألى مقامك العظيم، ارفع هذا القبس ...

رجاء أن ينزل هذا الجهد المتواضع من عمل

منزلة حمبي بها من ثواب ...

المؤلف

كامل محمد عجيله

مدرس الأدب والبلاغة بالا



صورة المؤلف ... للذكرى

موقف الأزهر

من أدب المسرح

... الأزهر الذى تعهد الإسلام ولغته ، وأفى القرون وما
بليت جدته ، ولا وهنت قوته ...

الأزهر الذى تخطى (الألف) وهو يحمل أعباء الثقافة الدينية
والاجتماعية، ويرسل الثورات السياسية ، ويرفع الراية فى الكنفانة
دون أن يخبو مشغله الذى أضياء المشارق والمغرب من كل مدرج
لهجت فيه الألسن. و نادى مؤذنها: (الله أكبر... الله أكبر .. أشهد
أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ..)

عرف الأزهر .. والعام الذى يقرع عليه غلاف الزمن
يسجل فى دقاته أنه منتصف القرن العشرين الميلادى الذى تعلم
المصريون فيه أساليب الكفاح السياسى الثائر والبيان الأدبى
المجدد والخلق المبتكر فى ضروب الحياة ومطالب الأحياء .

الأزهر وييمينه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن
حكيم خبير يقول : « نحن نقص عليك أحسن القصص » ..

الأزهر كان وكان أبناؤه أحق بالسبق فى ألوان القصة لو أن
المقتضيات طوعت له الإسراع فى الأخذ بأسباب « التجديد » ،

ولمكنته أثر التريث ، وترك للتأبين من أبنائه أن يذهبوا
 فيرتادوا ما لذ لهم وما أسعدهم به استعدادهم ، وظل هو في خطاه
 البطيئة صامتا وربما خرج في أوقات عن صحته و بلاه - يستنكر .
 ولينه خرج في زينة تلقاها أبنائه النايعون ، فصفق لهم ثم قال :
 (نعم) . قد كنت منذ خمسة عشر عاما أختم حياتي الدراسية ،
 وأستقبل عهدا يحمي أمانة منها مطالب المدرس ومشاق
 التدريس .

بلوت الأزهر والأزهريين ، وطالعت المؤلفات واختلطت
 بالمؤلفين ، وشاركت في الصحافة وزاملت الصحفيين
 والأزهر والأزهريون يجدون في خطوات ويحلون في آفاق
 وينمون نتاجهم إلا في أودية الفضة ومطالب الفن الرفيع
 قديمه وجديده . فشرعت في مزاوله بعض الجوانب القصصية على
 قدر ما يتسع له وقت المدرس (١)

(١) ألفت « أميرة الغناء » و « عشاق العرب » و « مائدة السمر »
 و « غادة المودج » و « صريع المجد » و « اللحن الخالد » غير أفاصيص
 وتمثيلات طبعت وأذيعت واستقبلها الأدباء بقبول مشجع
 وارفضاها القراء .

لكن الأزهر . . . سامح الله من أعزهم فيه ، كان بعض رجاله يقولون عنى : أما كان أولى به أن يصرف بيانه وجهده الى غير هذا الوجه ؟ . وقلت : اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون . وعند الصباح يحمد القوم السرى .

وأخيرا ومن عام تكونت من بين فرق النشاط فى الأزهر (فرقة التمثيل) وكانت لها محاولات أقرها المسئولون فى الأزهر وفى المحاولة الاخيرة رأى الشيوخ من العاران يكون الممثلون من أبناء الأزهر ولا يستطيع الأزهريون أن يظفروا بمؤلف من بينهم يعتزون به ، وهم من علموا الدنيا البيان .

وكانت هذه أول مؤاخذه ضقت بها ، وهيهات أن نجد الاعتذار عنها أو نحييد التملص من تبعات التقصير فى ميدان القصة . عرف الأزهر أن القصة بأنواعها ثوب يغرى وهى أداة المصور . وهى من أنجح وأوفى وسائل الدعوة والعظة وإرسال الرأى وإحياء المجد وإذكاء العاطفة

كل ميدان فى الدين والسياسة والاجتماع والاقتصاد لا يجد المجلى فيه أشد عوننا من القصة ولا أفقن من معارضها ، ومنها التى اتخذت طريقها ومنبرها المسرح . والأزهر له تقاليد والمسرح مطالبه وأدب المسرح وفن الإخراج

ووسائل الإبداع للفنى وغير هذا من دوافع التصوير الصادق في
 التمييز عن الحياة قديمها وحديثها لا ينسى حظ المرأة في القصة
 ولا في المسرح

ولكن الأزهري أنكر ظهور المرأة على المسرح، وظن أن الجموح
 المشاهد الآن في المسارح من مقومات التمثيل ولو أزمه، والحق
 أن ذلك ليس من الفن في قليل ولا كثير، وقال بعضهم لا بأس
 بالمرأة أما أو مستتره وقال الأكثر: (حرام ثم حرام)

وجاء الرفاق على لطفة وإلحاح في أن أكتب لهم قصة تنفض
 عن الأزهري وعنهم مسبة الأفلاس الفنى ونضوب القرائح الأزهرية
 وعودهم عن محاولة التأليف في القصة فضلا عن المسرحية

وعرفت ضيقهم من القيود وتعلمهم من الوقوف عند التمثيل
 الأعرج، وأضنى به بجانب التمثيلية الكاملة التي تعالج الحب والبغض
 والتقوى والفجور والرفعة والفضة في محترَب الحياة والأحياء
 من ذكر وأنى — ولم أرد أن أكون شجى وحمدت لهم صبرهم
 وكفاحهم وقلت لهم (مع اليوم غد) وما لا يدرك كله لا يترك
 كله ..

وعلى ما أكظم من ألم قبلت بعد أن أفكر ثم أختار ثم
 أكتب، ولم يغرب عن حياطتى أن الرواية لا بد أن تكون أزهرية

لحما ودما وأن تناسب الملابس وإلا لقيت الفرقة ومؤلف
القصة عقبة بل عقبات .

وإني وقد قدرت لقلبي موضع خطواته لا يسعني إلا أن
أصف عملي بأنه توضيحية أرغم فيها على أن يختار مكرها مجافاة
للعنصر النسوي ومباعدة الطرائف التي تقضى بها مطالب المسرح
المحدث ، وحسبي أن أتمثل بقول الأول :

ومبلغ نفس عندها مثل منجم

وأن أردد قول الآخر :

على أنني راض بأن أحمل الهوى وأخرج منه لا على ولا ليا

موضوع المسرحية

يجرى موضوع المسرحية في فترة تعرض الشرق فيها لأعاصير التتار وزوابع الصليبين وكانت مصر هي الحصن الذي رد عن الاسلام والمسلمين جوائح المغول والصليبين، وكانت مصر الملاذ وفيها ومنها دوى صوت النصر بعد أن تفرقت الشام وسقطت بغداد وأضعفت الأطماع منة السلاطين من خاف صلاح الدين . (وسلطان العلماء) هو الذي نفث وقوم وقوى روح الوطنية بعد أن انهارت الخلافة وأريقت الدماء وبدد الشمل وتفرقت الكلمة في ربوع الشرق .

وبهذا السلطان ، وعلى يد بطله شيخ الاسلام ، قامت الدعوة لتوحيد الكلمة وضم صفوف العمامين لمطاردة التتار ورد خائلة الأوربيين حتى يحفظ الإسلام وتراثه ويحمى الشرق وأبناؤه . ولأنه لسلطان مشرف ذلك الذي جمع القوى والجهود ، فكانت موقعة عين جالوت ، التي أعزت الشرق والاسلام . وفي عهده الأيوبيين والمماليك كان للفقهاء زمام شعبية استحقوها بشخصياتهم وعلمهم ، مما جعلهم أصحاب الكلمة النافذة والرأي الذي يخضع له العامة والحكام .

كان المصريون طوع . توجيه الفقهاء والمتصوفة الذين لم يكتفوا
 بالسيطرة الروحية ، وإنما وقفوا موقف الحاكم غير الرسمي
 من التزعم والاصلاح والدفاع عن الحقوق والمساعدة ما استطاعوا
 إلى ذلك سبيلا . وكان لهم الحق ، لأن العلماء اشتركوا في الحرب
 الصليبية ، واعتمد عليهم الملوك والسلاطين ، فاستحقوا الزعامة
 الدينية والاجتماعية وصدارة الحركات السياسية . ومن أمثل
 العلماء سلطانهم العمري بن عبد السلام الذي أشرك مغربيه دولة
 الأيوبيين ومشرق دولة المماليك .

قيود وأهداف

وقد حملت قلمي على أن يخضع لصادق الأحداث التاريخية وما أثار
 الأقوال على لسان الأبطال ، وتخبرت من العلماء والسلاطين
 والأمراء من كانوا مشار الكفاح ومن خطت بأعمالهم صحائف
 النصر وقاموا الذين أساؤوا بأطباعهم إلى الوطن وجروا على
 بلادهم عناء الضعف حين استسلموا لوعود الأجنبي .
 ولم أخضع قصتي لموجبات العمل ، الذي لا يكثر بحق
 المأثور وينكر تقاليد العصر وطبيعة حياته ، وصورت الأشخاص
 وكلهم من التاريخ بما قدموا من آثار وما خلدوا من جهد ، وأنا
 من ورائهم أنسق أحداثهم مع دقة واحتيال حتى أخضعها للوضع

التمثيلي ، وراعت البيئة التعليمية الأزهرية، وحرصت على إظهار قوة للعلماء وتصوير المقاومة المنتجة والتي كانت ولا تزال شاهدة بما لمصر والمصريين من أياد على الشرق والعروبة والإسلام . وخطى في القصة التاريخية التقيد بالوقائع والملابسات الموضوعية والزمنية وتخيير (الإطارات) من العوامل المحيطة بغير اختلاق .

وكذلك أجريت القلم مع سلطان العلماء محمداً لوازم عصره في أسلوب العرض المعالج ، وبتحريك الأشخاص في علاقتهم ومنازعتهم السياسية والاجتماعية والدينية ، ويكفي من الجهد أنى كنت أمينا على ما خلفه التاريخ الصادق وما حفظه لأبطال القصة من مآثر القول ومروى التعبير ، بجانب زيف التوشية وبهرج التلفيق بما يبعد الصورة عن مطابقة واقع حياتها التاريخية وخصائص أبطالها الماضين .

الزمان : نهاية النصف الأول من القرن السابع الهجرى

المكان : دمشق - الكرك - القاهرة

الأشخاص

- (١) عز الدين بن عبد السلام
 - (٢) أبو عمرو عثمان بن الحاجب
 - (٣) سيف الدين قطز
 - (٤) الصالح نجم الدين أيوب
 - (٥) ابن دقيق العيد
 - (٦) الصالح إسماعيل
 - (٧) الناصر داوود
 - (٨) بيبرس البندقدارى
 - (٩) أبو الحسن الشاذلى
 - (١٠) عبد العظيم المنذرى
 - (١١) شرف الدين عبد اللطيف بن العز
- و نكرات قصصية ،
- قسيس - نائب سلطنة - خادم الشيخ - طلاب
- دراويش - جنود - حسس - رسل

قال التاريخ: عن شخصيات المسرحية

عن الدين بن عبد السلام . ابن أبي القاسم بن حسن بن محمد

ابن مهذب السلمى ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسةائة بالشام
وتفقه على ابن عساكر وأخذ الأصول عن الأمدى وبرز في
الفقه والأصول والعربية .

قال الذهبي : انتهت إليه معرفة المذهب مع الزهد والورع
وبلغ رتبة الاجتهاد .

ولى خطابة جامع دمشق سنة ٦٢٧ هـ وعزل سنة ٦٣٨ هـ
وحبس بالقلعة وقدم إلى مصر سنة تسع وثلاثين وستائة فأقام
بها ناشراً للعلم أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر .

وسبب خروجه من الشام أن سلطان دمشق استعان بالفرنجة
وأعطى لهم مدينة صيدا وقلعة الشقيف فأفكر الشيخ ذلك وترك
الدعاء له في الخطبة ، وساعده في هذا أبو عمرو بن الحاجب
فسجنهما السلطان ثم أخرجاه من السجن ، وفي طريقهما أرسل
إليهما صاحب دمشق يتلطف ليرجع الشيخ ، فقال للرسول الذى
طالب منه أن يعتذر للسلطان : د ما أرضاه يقبل يدي فضلا عن

أن أقبل يده ، يا قوم أنتم في واد وأنا في واد ، .. ولما وصل مصر
 تلقاه الصالح نجم الدين أبوب محفاوة لاثقة، وولاه القضاء .
 وكان في أخلاق الشيخ شدة وفي لسانه حدة وفي رأيه صرامة
 مع ورع ونزاسة وشجاعة ، لا يثنى عن تنفيذ ما يريد .
 وبعد أن تولى القضاء صمم على بيع أمراء المالكة من الأتراك
 وإدخال ثمنهم في بيت مال المسلمين لأن حكم الرق مستصحب
 عليهم ، وقد شغبوا وهم بعضهم يقتله ، وحسم السلطان الأمر
 فدفعوا ثمنهم له وصرفه الشيخ في وجوه الخبير والبر ومصالح
 الناس ، وكثيراً ما عزل الشيخ نفسه من القضاء ، واقتصر أخيراً
 على التدريس في المدرسة الصالحية التي بناها الصالح نجم الدين
 بين القصرين .

قال عنه تلميذه ابن دقيق العيد : كان ابن عبد السلام أحد

سلاطين العلماء

وقال عنه ابن الحاجب : العز أفضه من الغزالي .

وقال ابن كثير في تاريخه : انتهت إليه رئاسة المذهب وقصد
 بالفتوى من سائر الآفاق ، وكان في آخر أيامه لا يتقيد بمذهب .
 وله مؤلفات عدة . وكان صريحاً ، أفنى مرة وظهر أنه أخطأ

فأرسل مناديا في مصر والقاهرة ينادي من أفتى له ابن عبد السلام
فلا يعمل به لأنه خطأ ، وكان حسن المحاضرة بالوادر والأشعار
لذيذ الحديث يحضر السماع مع القوم وربما رقص ، وكان لطيفا .

وعاش حياته يقاوم البدع وأبطل صلاة الرغائب ونصف
شعبان . وكان يعطف على العامة ويغاظ للحكام في سبيل الله ودينه .

وأهدافه وحدة المسلمين وصد غارات التتار والصلبيين ، وفي
سبيل هذا فارق دمشق إلى مصر وأمضى بها عشرين عاما ، منها
اثنا عشر في حكم المماليك الذي بدأ بأبيك التركاني وعاش بعد
مقويط (بغداد) أربع سنوات وأمر بهدم طبلخانة أحد نواب السلطنة
لأنه بناها فوق مسجد بالقاهرة ثم أسقط النائب وعزل نفسه ،
وكان يعارض شجرة الدر في توليها الملك ، ويمانع في جمع الضرائب
الكبالية ، وهو الذي نصب (قطز) سلطانا على مصر . وما
سنة ٦٦٠ هـ في عهد بيبرس البندقداري .

ابن الحاجب :

شيخ المالكية أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمرو المصري كان والده جنديا من الأتراك . ولد بأسنا سنة ٥٧٠ هـ وطاش ٨٥ عاما ذهب إلى دمشق في سنة ٦١٧ وزامل العز بن عبد السلام وعاونه في مقاومته وجادل العلماء الذين انضموا إلى صاحب دمشق وسجن مع صاحبه في سجن القلعة ثم رحل معه إلا أنه تخلف في الكرك عند الناصر داود ليتم تأليف الكافية ثم لحق بالعز في مصر ومات بها سنة ٦٤٦ .

كان متواضعا يحتمل الأذى وهو ركن من أركان الدين والعلم عرف بالذكاء ودقة الملاحظة وبعد الأناة وعفة للسان .

سيف الدين قطز :

ينسب إلى أسرة جلال الدين بن علاء الدين خوارزم شاه ، اختطف صغيراً وجيء به من بلاد الأكراد هو وأطفال من أسرته ثم بيع في سوق دمشق ثم في سوق القاهرة وتقلبت به الظروف إلى أن أهداه الصالح أيوب لكبير بمالكة عز الدين أيك التركي الذي تزوج شجرة الدر وكان (قطز) مخلصاً صادقاً أميناً وفيما لدينه وللشرق وفي نفسه حزازة من التتار الذين قوضوا

عرش أسرة جلال الدين الذى مات مشرداً فى القرى الكردية
بعد جهاد عشر سنين .

فى دمشق يحضر مجالس العز ويخلص له ويفصح عن
أمانيه وذات نفسه ، ساعد عز الدين أيبك التركانى فى السلطنة .
فلما قتله شجرة الدر عمل مع المماليك على قتلها وتولية ابن
أستاذه بأشرافه ، ثم تخلص منه ، وروى مؤرخة شيخ الإسلام تغلب على
المماليك وتولى سلطنة مصر ٧٠٧ هـ ولقب بالمنافس بين الدين قطز
وبعد أن استرضى بيبرس البندقدارى وأقامه فى قلوبه عمل على
إرسال جيش لمحاربة التتار بقيادته وهزمهم فى عين جاجوات وقتله
بيبرس فى طريق عودته إلى مصر .

الصالح نجم الدين أيوب

هو ابن الملك الكامل سلطان مصر الذى عهد لولده العادل
ثم لولده الصالح نجم الدين حكم مصر عشرين عاماً بعد أن طرد
منها أخاه العادل وكان صغيراً .

والتاريخ يذكر أن نجم الدين كان شعلة من النشاط عمر
القاهرة وبنى المدارس الصالحية بين القصرين وشيد قلعة الروضة
وأكثر من المماليك وجعل منهم خاصته وبطانته وضبط الأموال

وأعاد لمصر هيبة سلطاتها. وفي سنة ٦٤٣ سار إلى دمشق وهزم
 الصالح إسماعيل وضمها إلى مصر ثم استولى على غزة وبلاد الساحل.
 وكان يحب شجرة الدر ويكرم المماليك الذين دافعوا عنه حين اعتقل
 هو وجاريتته عند قدومه من دمشق للاستيلاء على مصر. توفي
 سنة ٦٤٧ والحرب دائرة بين المصريين والصليبيين. وكان يكرم
 العز ويتهيب مكانته ويضيق بكثرة اعتزال الشيخ مناصب القضاء
 وتعمديه لكبار المماليك، ولما كان يستطيع الوقوف أمام رغبة
 للشيخ لمكانته الدينية وزعامته الروحية، وسيطرته الشعبية.

الصالح إسماعيل

استولى على دمشق من سنة ٦٣٧ - إلى ٦٤٣ بعد أخيه
 الأشرف. كان مندفعاً. مالا للفرنجية وتنازل عن صيدا وطبرية
 وسائر بلاد الساحل، وأذن للفرنجية بدخول دمشق وشراء الأسلحة
 وآلات الحرب بما أحق العز وابن الحاجب وأغضب العامة، وكان
 قد ولي العز خطابة الجامع الكبير بدمشق، ولما ثار الشيخ
 عزله وأمر بسجنه هو وصاحبه ضيقاً بهما وباتصالهما بصاحب
 مصر الصالح نجم الدين أيوب.

الناصر داود صاحب الكرك :

ابن الملك المعظم شرف الدين عيسى ولد سنة ٦٠٣ وشبه في طلب العلم ، وكان ذكياً بعيد النظر تلمذ على العز وكان يحب ابن الحاجب ولا يميل إلى الصالح أيوب . استقبل ابن الحاجب والعز في رحلتها إلى مصر وجامعها واستبقى ابن الحاجب في ضيافته ، ورغب إلى الشيخ في أن ينضم إلى نجم الدين ابن عمه ليعاونه في إزالة مفسد عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق .

وله مواقف ضد الفرنجة أبلى فيها بلاء حسناً وكان يحافظ على إمارته من صاحبي دمشق ومصر . ويذكر التاريخ أنه تولى إمارة الكرك حينما ضاقت به دمشق سنة ٦٢٦ وبقي أميراً إلى سنة ٦٤٧ وانتهى ملكه بخديعة من أهله وتشرذم في البلاد إلى أن مات .

ابن دقيق العيد - أبو الفتح تقي الدين ابن مجد الدين القشيري

المصري - كان يلقب بتقي الدين ، ولد في البحر المسالح وكان والده في طريقه إلى الحج من قوص إلى مكة وهو من أكابر العلماء كان حافظاً زاهداً ورعاً مجتهداً حسن الاستنباط من كتب السنة ، تفوق في العلوم العقلية والنقلية . سمع بمصر والشام والحجاز - وكان من تلاميذ الشيخ العز تاق عليه

العلم سنة ١٩٢٥ وكان ذكيا شاعرا طلق اللسان قال عنه العز: إنه
مفخرة مصر ، ولقد شرح مختصر ابن الحاجب وطاون أستاذه العز
ولازم مجلسه وانتفع الشيخ بنبوغه المبكر .

بيبرس البندقدارى

ركن الدين بيبرس البندقدارى قاهر الصليبيين هو أحد المماليك
الذين زاملوا قطز ، ولكنه كان طموحا شرها نهازا قويا
يحب الصيد، ولا تقف أطباعه عند حد .

ولما قويت مكانة قطز بفضل الشيخ العز رحل الى الشام ،
ولكنه وجد سلطانها يكاتب هولاء كوفدبت فيه حمية
الوطنية والغيرة على الإسلام والمسلمين، وقال : إن قتال التتار
واجب ، فرجع الى مصر حرصا على أنه ينضم الى سلطانها
وإن كان منافسا له ، لأنه يفضل عدم الانضمام الى من يمالئون
التتار، وكانت الخلافة قد قضى عليها التتار، وكان سلطان مصر قطز .
والولاية في حلب ودمشق للناصر عبد العزيز وفي الشوبك والمكرك
للملك المغيث ابن المعادل وهو حرب مع صاحب دمشق . وخير
الطرق كانت عنده التعاون مع زميله السلطان سيف الدين
قطز ليشقى نفسه من القضاء على التتار ، وقد أبلى بلاء حسنا في
موقعة عين جالوت ، وانتهى به الأمر الى الاستيلاء على مصر ،
وكان يخاف العز ، وروى أنه قال يوم أن رأى جنازته تسير على

الأعناق، وكان واقفاً في شرفة القلعة : «اليوم استقر ملكي .»

أبو الحسن الشاذلي

شيخ الطريقة الشاذلية هو تقي الدين أبو الحسن ينهى نسبه إلى سلاطين العرب ، ولد بأحدى قرى إفريقية سنة ٩١٢ هـ وكان كثير الترحال بين مصر والحجاز وتونس . التقى سنة ٦٤٠ - بأبي العباس المرسي بعد أن تلاقيا في تونس وفي سنة ٦٤٢ وصالما إلى الإسكندرية وقبض عليهما هناك ثم أطلق سراحهما ، ومكث الحسن يدرس في جامع العطارين ، ثم رحل إلى العراق فتلقى دروساً في الصوفية ، وكان كلما مر في طريقه من الحج إلى الإسكندرية اتصل بالعز ونزل في (خانقاه الصوفية) بالقاهرة والتقى بالعلماء الذين كانوا يلقون بالعز ومنهم ابن دقيق العيد والحافظ المنذرى .

وكان ضريباً متواضعا جريئاً مات في صحراء عيذاب سنة ٦٥٦ وحن عليه العز ، وبما يذكر أنه حج في عام من الأعوام ، وعند عودته إلى مصر قابل العز وقال له :

« إن الرسول يبلغك يا ابن عبد السلام تحياته . »

عبد العظيم المنذرى

هو زكى الدين أبو محمد عبد العظيم المنذرى حافظ الديار
المصرية أكرم العز وحضر مجالسه وامتنع عن الفتيا عندما
قدم العز من الشام إلى مصر ، وكان قليلا ما يخرج من مدرسته ،
ولد سنة ٥٨١هـ وعلمه تخرج تقي الدين بن دقيق العيد ، وتوفي المنذرى
سنة ٦٥٦هـ وكان أديبا ورعا عالما بالفقه واللغة

شرف الدين عبد اللطيف بن العز

كان شجاعا ذكيا ظل يناصر والده ، ويتلقى العلم عنه وعن
علماء مصر ، وظهر شأنه بعد والده .

obeykandl.com

الفصل الأول

في ضاحية من دمشق ، يقع منزل العز ، في حديقة مسورة ، تفضى إلى فناء به منضدة وكراسي ، ينتهى بحجرتين : إحداهما للإملاء ، والأخرى للمجلس الخاص . وهناك ممر خافى متصل بالفناء

الطالب الأول : [يلتقى حافظته على كرسي مجاور له]
« إن مع العسر يسرا »

الطالب الثانى : وما اشتدت أزمة إلا انفرجت

الطالب الأول : أين أستاذنا العز ،

الطالب الثانى : أريد أن أسألك عنه . لقد شاقنى حديثه

الطالب الأول : مارأيت أستاذى من ليلتين ، وأكاد أجن .

الطالب الثانى : يا أخى إنك لجاحد فضل شيخك . ليلتان ؟

يا عجايب كل العجب أنا لم أره منذ الصباح وأرى ذلك كثيرا

الطالب الأول : والله ما كان عن قلبى ولا عن تشاغل

الطالب الثانى : أظنك منعك بعد الشقة ، وقد اتبذ شيخنا

شيخنا وما يديه من رأى وما يرسله من
توجيه .

الطالب الأول : والآن . ماذا نمن صنعون ؟
الطالب الثالث : لا شيء ، إلا أن نأتمى الشيخ ونضع جهودنا
تحت تصرفاته .

الطالب الثاني : جهودنا؟ وهل في جهودنا نغناء؟ لا بد من لم
تتمتنا ودعوة الطلاب جميعا والمريدين
والعاملين من الأحرار والآباء .

الطالب الأول : والشيخ ، أين مكانه ؟
الطالب الثاني : لا بد من الرجوع إليه فيما نضع . ولا بد
من إلهاب الحماس في نفوس الشباب

الطالب الثالث : الشيخ قد نمت في دمشق من روحه، وكنا
في انتظار الدعوة إلى الوثبة

الطالب الأول : سمعت من الشيخ ما يشبه اليأس من دمشق
لأنه رقب اليوم الذى يحد فيه الجنود
بالقاهرة .

الطالب الثاني : القاهرة أين منا عون القاهرة؟ إن الشيخ يقاوم
الرجعية في دمشق ويكافح الخطر المطل علينا

بمنزله هذا المكان القمى في ضواحي دمشق.

الطالب الأول: يخيل لى أنك لا تدري ما أهم الشيخ ولا

ما يشغل باله من جديد الأحداث

(يدخل طالب ثالث)

الطالب الثالث: السلام عليكما .

الطالب الأول والثاني: وعليك السلام . أعندك الخير اليقين؟

الطالب الثالث: عن ماذا؟

الطالب الأول: عن شيخنا العز

للطالب الثالث: لا أجيب المتخلفين

الطالب الثاني: بحقك إلا أجبت . بحق الشيخ .

الطالب الثالث: أين كنتم؟ منع الشيخ من إلقاء محاضراته

(بمدرسة الغزالية) وضج مريدو الشيخ

وثارت دمشق وأتت في غفوة؟

الطالب الأول والثاني: (في دهشة) الويل لنا، لقد كنا في

غفلة عن هذا

الطالب الثاني: كنت أمضى غير عابىء بما يدور في الأسواق

لأن دمشق وأحسب بغداد وأظن مصر

وكل من يعنيه شؤوننا دائب الحديث عن

من غوغاء والفرنجية، ويدفع بنا الى منافحة
غوائل التتار : هنا في دمشق . وتحلم أنت
ويطير خيالك إلى القاهرة ؟

الطالب الثالث : أنت لا تعرف

الطالب الأول : ومن الخير ألا يعرف . حتى لا يذاع
ما يجري في الخفاء .

الطالب الثاني : ساء ظنك ! ما أنا وإشاعة ما يبلا الأسماع
ويدوى في الأمكنة والبقاع

الطالب الأول : رغبة الشيخ في عون مصر والمصريين ؛

الطالب الثاني : نعم جاءت الرسل والطلاب وزيارات ...

الطالب الثالث : زيارات من ؟

الطالب الأول : صه

الطالب الثالث : زيارات من ؟ قل لي بربك

الطالب الثاني : زيارات (نجم الدين أيوب) للشيخ ومجالسه،

هو وعمرو بن الحاجب شيخ المالكية

الطالب الأول : قل لي . وهل بلغ ذلك صاحب دمشق ؟

الطالب الثاني : بلغه وأخذ حذره وشق عليه

الطالب الأول : أيضيق الصالح إسماعيل ابن أخيه

وينفس عليه اتصاله بالشيخ؟

الطالب الثاني: إنه حب الذات وطلب السيطرة

الطالب الأول: لم يفكر صاحب دمشق في رد التبار

وإزالة كابوس الفرنجة

الطالب الثاني: إن التناحر القائم بين الولاة والسلاطين من

نسل صلاح الدين هو الذى لين قناتهم

وأطمع أعداء الشرق.

الطالب الثالث: (تسمع جلبة) ما هذه الضوضاء؟

الطالب الأول: صوت مألوف

الطالب الثاني: تكاثر المحتاجين من فقراء دمشق حول

منزل الشيخ

(يدخل ابن الشيخ مندفعاً في غرارة)

عبد اللطيف: أبى . أبى . (يتوقف ويتحير الطلاب)

أين أبى؟

(يتقدم إليه الأول ويقترّب منه الآخران)

الطالب الأول: هل مررت بخلاوة والدك يا عبد اللطيف؟

عبد اللطيف: ظننته بالحديقة بعد أن بحثت عنه في حجرة

النسخ وحرقة الأمامى

..... (تعالى الأصوات) : ... يا شيخ المسلمين
والاسلام

الطالب الثاني : ما هذا يا شرف الدين ؟

عبد اللطيف : ألا تسمعون ؟ طالبوا الصدقات .
(تخفت الأصوات)

الطالب الثالث : هون عليك يا شرف الدين ، ظننت في الامر
ما يخيف

عبد اللطيف : وأي خوف؟ أن ما أنفقته أمس بأمر والدي
لم يف بحاجة من وفدوا على منزلنا، وها هم
أولاء قد عادوا يطالبون ما أملوا ...

(ينظر الثالث الأول ويصمت)

الطالب الأول : فيما ذا الصمت ؟

الطالب الثالث : لدى مال أوقدني الشيخ به لأعطيه لبعض
المهاجرين من أطراف الشام إلى دمشق
ولم أهد إليهم

عبد اللطيف : إذن فانسرع إلى هؤلاء وتثره عليهم ونسد
حاجتهم حتى يأتي والدي

الطالب الثاني : هو الرأي

الطالب الثالث : أعتقد أن أستاذنا العز قد يكون اليوم في حاجة إلى ما ينفقه على نفسه وعلى دعوته في سبيل الدين والوطن .

عبد اللطيف : إن والدي لم يعودنا إلا الإنفاق ، وله الساعة التي هو فيها . هيا . هيا . هيا .

الطالب الأول : لا بأس . هيا بنا . (يسرعون جميعا)
(يدخل الشيخ ومعه ابن الحاجب —
من باب آخر)

العز : اجلس حتى ندر الأمر (ياتفت فيجد حافظة موضوعة على كرسي)
(يتهد ويرسل نظرة فيها ألم)

ابن الحاجب : ما هذا يا عز الدين ؟ زفرة مكروبة ، وعهدى بك أن تبسم للأحداث

عز الدين : انظر يا ابن الحاجب ، إنها حافظة طالب أظنه كغيره ، وقد إلى منزلي لتلقى الدرس بعد أن عطل مكاني من الجامع الكبير بدمشق وعطلت الدراسة في الغزالية

ابن الحاجب : إنها سحابة أحداك عن قريب تقشع ويعود
الطلاب إلى درسك وتعود إلى مجلسك منهم .
عز الدين : هيات . . إلا إذا أجلينا عن دمشق وعن الشام
جميعه مفسد تنخر في حياتنا بما جره علينا طمع
الفرنجية وتهالك ضعاف النفوس على مغرياتهم .
ابن الحاجب : لعلك بائع نفسك على تفرق آراء العلماء
والأمراء والسكبراء .

عز الدين : وتلك التي تستك منها المسامع . يابن الحاجب
ناشدتك الله أن تعود إليهم - فرادى ، وتذكرهم
بالله واليوم الآخر بحق الوطن ، لقد جف ريق
ولم أدع من شديد القول أولينه شيئا إلا سقته
إلى أسماعهم عسام يثفون بجاني ويجاهون صاحب
دمشق بعاقبه التصريح للفرنجية - وهم أعداء
المسلمين . في شراء الأسلحة وساخ الليل والنهار
في دمشق وحاناتها . إن تعاون صاحب دمشق مع
الأعداء أغرى الضعاف وجوهى للنفوس ببيع
ذخائرهم . ولا غناء في الأموال إذا بات أوبائها
عزلا من الأسلحة آه . يابن الحاجب . . (تشتق
الكلمات من الضيق)

ابن الحاجب: خفف على نفسك .. قل لاني سامع
 عز الدين: كثيرا ما بصرت الصالح إسماعيل وخطأته في
 تمالكه على إرضاء الفرنجة وتقديم الزاد
 والأسلحة وكل مرفه لقاء ما يرجوه على أيديهم
 من عون ووعوم وكأني أضرب في حديد بارد

ابن الحاجب: يا عز الدين أخشى ان تكون حدة لسانك هي
 التي شقت على صاحب دمشق فاخذته العزة باللائم:
 عز الدين: يا أخى أنت تعرف أنى لا أخشى في الله لومة
 لائم وأنى أضيق بأن يقف الصالح إسماعيل
 ويدعو للفرنجة ويمشى الناس في شوارع دمشق
 فلا يلقاهم إلا معربد من جنود الفرنجة .

ابن الحاجب: أظن الصالح إسماعيل في نفسه شيء من... (يتعمل)
 عز الدين: في نفسه أشياء . إنه يضيق بتعاوني مع المصريين،
 وبحبي لنجم الدين . ويحقد على حب الطلاب
 وإقبال الوافدين من مصر ومن العراق
 وأطراف الشام .

ابن الحاجب: وأيضا يحذر عاقبة إقبال الناهين من المماليك
 وتلقيهم عليك وإنه ليحسب ألف حساب لمن يباعون
 إلى تجار القاهرة لقد أصبح لبعضهم شأن أى شأن
 عز الدين: ما أردت إلا أن أعز الاسلام بكل مخلص

للمسلمين فالتخذت العلم بابا للعمل، وإني
لا ضيق بالجدل والتعاق وراه تشقيق الكلام
والتهافت على الآراء التي لا تنهى
إلى غاية عملية

ابن الحاجب : حقا باعز الدين . شقينا بجدل الخنايلة .
وضقنا بمهارة الحشوية وأضعنا الوقت
فيما لا طائل تحته . وتكاذب جوش الفرنجة
تنخطفنا . وإن حصوننا لتهاوى كل يوم
عز الدين : علينا أن نعمل وأن نجند قوانا . والله غالب
على أمره . ومن اتخذ سبيل العمل على النصر
فلا بد أن ينتصر

ابن الحاجب : تعجبنى منك الثقة فى النجاح والأمل فى
المستقبل . ولن يهزم الشرق ما دام فيه
مجاهد مثلك

عز الدين : لن يهزم الإسلام قاله ضامن أن يحميه
ابن الحاجب : « واستعينوا بالصبر والصلاة »
(يشير بيده اليمنى)

هناك مكان التهجده . وحتى تفرغ من صلاتك

أكون قد سطرت رسالة إلى . .
 (يسمع وقع أقدام ، فيلتفت الشيخان إلى
 مصدر الخطوات)

ابن الحاجب : من يازرى وقد أجننا الليل ؟

العز : لعل بعض الطلاب . . إلى صلاتك

ر يأخذ ابن الحاجب في الانصراف ويتقدم
 العز لاستطلاع الأمر فيبدو خمسة في زى
 المماليك يتقدمهم ملوك وسيم في زى تاجر)

القادمون : السلام على شيخنا عز الدين

العز : وعليكم السلام . (يتبين وجه الفتى الأول)

مرحبا . . نزلتم أهلا ، وحلتم سهلا .

يا مرحبا . . قطز . . ؟

قطز : نعم أنا قطز . . وهؤلاء هم . . (يصمت ويلتفت

اليهم) المشيرون بشمن بخس دراهم معدودة ،

قد من الله علينا . . وسنكون غدا في

طريقنا إلى مصر بعد أن تزودنا بنصائحك

(يسمع من بعيد صوت يعلو شيئا فشيئا

يرتل آيات من سورة يوسف . . يفرق

الحاضرون في التأمل والتأثر بهم يبعد الصوت تدريجياً)
 فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال
 ادخلوا مصر إن شاء الله آمين . . . إلى قوله:
 وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون .
 (يبعد الصوت تدريجياً حتى ينمحي) .

- المز : صدق الله العظيم
 قطر : أستاذي . . . إني لأجد أملاً أحس ريحه
 المز : ليس على الله بمستنكر يا محمود
 ملوك : محمود . . . ؟
 قطر : كان اسمي محموداً من نسل علماء الدين خوارزم
 شاه (في حيرة) ألا تعلم أن جلال الدين قتل
 مشرداً في قرية من قرى الأكراد بعد جهاد شاق
 في دفع التتار هناك . . . (تأخذه عبرة) . . .
 لا تذكرني بأيام أسرى صـ صـ خيراً قبل أن أباع
 وتتقارب بي الأحداث . وكنت هنا في دمشق
 أختاس ساعات أستمع فيها إلى أستاذي . . .
 أيتها دامت
 المز : أخشى على مهمتك في مصر يا . . . محمود (يبتسم)

يا قطنز . . هياتك لمهمة تقوم بها هناك . إن الاسلام

في حاجة إلى جهود جديدة ترد عنه كيد الطغاة

ملوك : (يلتفت إلى الآخرين ويهمس) أهذا شأننا ؟

العز : (في حدة) نعم أنتم المماليك وبعضكم من أرومة

كريمة ، انتزع ملكهم على أيدي التتار واجتاحوا

بلادكم وجيء بكم في طفولتكم ، وقضى عليكم شره

الناس أن تباعوا في أسواق دمشق وبغداد والقاهرة

قطر : (تدور عينه من الألم وتفويض منها دموعات) نعم

رب ضارة نافعة

ملوك آخر : دع الشيخ ، إنى لأجد لكلامه حلاوة وإن لما

يدفعنا إليه لاطلاوة .

العز : وإن صدق حلمسى فإن القصور ستجعل منكم أيادي

تطول وتمتد وفي يمينها إعزاز الاسلام ، إن أردتم

الانتصار لمجدكم الزائل ودينكم الخالد ، ولينصروا

الله من ينصروه .

قطر : وما النصر إلا من عند الله

العز : يا قطنز . أظن رحلتك من مصر إلى دمشق قد شقت

عليك وعلى زملائك

- أحد الممالك : شقت عليه فحسب ، أما نحن .
- قطز : إنهم من دمشق . . أقصد .
- المملوك : معاذ الله أن نكون من بلد يرعى الأجنبي ويفسى
حق الوطن، ويجهل من طعامه وسلاحه بل فرأشه
مهادا مذاللا
- قطز : كفى كفى فانتا لا نريد أن تنكأ جراحات في قلبه
أستاذنا لما تقدمل بعد
- عن الدين : رعاك الله يا قطز، نريد . . . (يهز رأسه) ولكن
الواقع ساخر من كل ذي عينين
- قطز : أستاذي . . . لقد رغبت في لقائك فتخفيت في
زى التجار، ودرت في أسواق دمشق، ونخلت هؤلاء
الأخوة بعد ما توسعت فيهم النجاة
- مملوك : والله لقد أنقذتنا من ظلم محقق وخطر ملم
- العز : لقد أحسن الله بكم
- قطز : وسيدشك الله بهم عضدي . . سيدى، أريد أن أسر
إليك بعض ما أحمل إليك من شئون مصر
- العز : حبا وكرامة بعد أن يسمح زملاؤك
- الممالك : ذلك ما نبغى

العز : بنا يا قطز إلى حـجـرة الأماـلى (يخرجـان وهما
 يتـهاـمسان، على حين يعود ابن الحاجب من تهجده .
 يرتاع المـاليـك)

ابن الحاجب : السلام عليكم

الماليك : (في دهش) وعليك السلام

ابن الحاجب : لا تـثـريـب عـايـبـكـم . . ما شأنكم ؟

أحد المـاليـك : جئنا لنودع سلطان العلماء

ابن الحاجب : وفيم التوديع ؟ وعن قريب يعود الشيخ إلى درسه
 في الفـزـالـية وإلى حلقة المسجد الجامع

أحد المـاليـك : هيات

ابن الحاجب : (في ارتياح) وما ذلك علي الله بعزين .

ملوك : إن رسلنا غدا

ابن الحاجب : . . . رحلتكم . . . ؟

ملوك : نعم . . . إننا ماليك في طريقنا إلى القاهرة

ابن الحاجب : فهمت ، وكبيركم هو التاجر . اشتراكم بـشـمـن بـخـسـ

دراهم معبودة ، وغدا . . . غدا هناك في القاهرة

ملوك : غـدا ؟

آخر : غدا يكرم مشوانا ، ألم أقل لك إن مهمتنا شاقة وإن

يأسك وبكاءك لا جدوى منهما أيها الشيخ ، إنا
نرجو أن يعز بنا الاسلام ، وأن نكون مهاما
ندافع عن كنفاته الله .

ابن الحاجب : يا حسنها على كبدي . . يا ولى

(يعود العز ووراءه قطز فيسمع الكلمة الأخيرة)

العز : كلهم أولادك . . . حقا . . . اطمئن يا قطز وأنت

يا ابن الحاجب سئل الله أن يوفقهم في مهمتهم

(ياتفت إلى قطز)

إنه أبو عمرو بن الحاجب شيخ شيوخ المالكية

وأرجو الله أن يقبل به عثرة بعض العلماء . .

علماء السوء . . .

قطر : لعل الله يعز مصر به كما سيعزها بك

العز : يا قطز علمتك أن تستعين على تدبير أمورك بالسكتان

ابن الحاجب : إنها فرحة الشباب المؤمن

العز : احذروا مفاجآت الطريق وجواسيس صاحب

دمشق وطوارق جنود الفرنجة عند عودتكم

ابن الحاجب : واحذروا أن يلميكم التكائر بالجاء والاموال إذا

استقر بكم المقام في مصر

قطز : عن قريب سيكون إصدارنا وإيرادنا عن رأى
أستاذنا العز

ابن الحاجب : أعد على سمعى يا ولدى

العز : ان يكون يا بن الحاجب حتى . . . (بصمت)

ابن الحاجب : حتى تفرغ ما فى جعبتك من السهام

العز : إن سلاح العالم علمه ولسانه . . . كما أن سلاح الملك
سيفه وسنانه

قطز : صدقت يا أستاذى .

ابن الحاجب : لقد أبليت يا عز الدين .

العز : ولكنى لم أبلغ الغاية .

ابن الحاجب : دلى المرء أن يسمى .

العز : وكما لا يجوز للملوك إغساد سيوفهم عن الملاحدين

والمشركين لا يجوز للعلماء إغساد أسنتهم عن

الزائعين والمبتدعين

قطز : ومن ناضل عن الله وأظهر دينه ، كان جديراً أن

يحرسه الله بعينه التى لا تنام

ابن الحاجب : ولو شاء الله لا تتصر منهم ، ولكن ليبلو بعضكم

ببعض

العز : ولذلك أعلن على الملأ وبلغ عنى طلابي في القاهرة حتى ألقاهم ، إن المخاطرة بالنفوس مشروعة في إحتراز الدين ، وكذلك المخاطرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

علوك : ومن خشى على نفسه التهلكة

: (لا يجيب أولا) سقط عنه الوجوب وبقى الاستحباب

(بهم الشيخ بالمهوض) الأمر كما قال الرسول ه احفظ الله يحفظك ، (يتوجه إلى السماء ويتوجه الجميع معه في ضراعة) اللهم فانصر الحق وأبرم لهذه الأمة أمرا رشدا إناك نعم المولي ونعم النصير (يدخل شرف الذين مسرعا)

شرف الدين : أبي .. أين أبي ..

العز : ما أجلك يا شرف الدين ؟

شرف الدين : كنت أتشم هواء الليل جوار سور الحديقة بالقرب من نافورة المياه (يلانفت وراءه) وإذا ثلة من الجنود يتسلسل أفرادها ولم أتبين إلا همس بعضهم إننا نبحت عبثا عن رجال مصر أيتون هنا في منزل هاديء ساكن يخيم عليه الصمت ؟

العز : (بيدي اهتماما) والجميع يأخذهم التفكير ثم ماذا
يا شرف الدين ؟

شرف الدين : تعرضت لبعضهم فسألني عن ضيوف وفدوا هنا
ابن الحاجب : وماذا قلت لهم ؟

شرف الدين : أحببت بأني وزعت عليهم بعض الصدقات
ثم انصرفوا

العز : أي صدقات يا بني ؟

شرف الدين : أعطيت الفقراء والمساكين

ابن الحاجب : لقد صدق ، وخلال بهم

شرف الدين : انصرف بعضهم وشرذمة منهم لم تنتظر حتى
تمنى عني

العز : إذن لا ألتحق بهم حتى لا يخزونني في ضيبي

قطان : ضيفك ؟ لا تخف سنباديهم بسبوقنا ونقد أضلاعهم

ملوك : جردوا سيوفكم .. هيا وراه الشيخ

ابن الحاجب : لا داعي .. مكانكم حتى نستنجد بكم . . . مكانكم

(يخرج الشيخ ووراه ابن الحاجب)

شرف الدين : (يتقدم إلى ملوك) ألا تعطيني سيفا أفاصح به دونكم

قطان : ومن يشابه أبه فما ظلم

(يدخل بعض الجنود من الجانب الآخر)

شرف الدين : جنود منهم

قطر : (يستعد) لا تخف . . . الحق بوالدك وحذر

أن يلتحم بأحد في الخارج

شرف الدين : لا . . . بل أظلم معكم وأبى له الله . .

(يتقدم الجنود)

كبير الشرطة : (في عنجهية) أتم جواسيس مصر وعيون أطباء

قطر : خستتم . . . نحن رواد الخير للشرق وعري اتحاد

ورد الشر عن بردى والفرات

شرطى آخر : أغمدوا سيوفكم

قطر : بعد أن نقد أعناقكم

كبير الشرطة : إنك تهذى . . أين رب البيت . . . أين الشيخ ؟

قطر : ولم تسأل عنه وأنت لم ترع حرمة خطيب دمشق ؟

شرف الدين : هؤلاء هم ضيوف أبى . . . الا ترعى الله فيهم ؟

(يتقدم قطر إلى كبير الشرطة ويخرج له بدرة)

(ويرفعها في الهواء فيلبح انجذاب الشرطى اليها)

(فيدسها إليه . . . يلتفت الباكون فينثر لكل)

(واحد منهم بدرة يتشاغل الجنود باخفائها . . .)

كبير الشرطة : (اشرف الدين) أنت أيها الغلام ابن الشيخ
عن الدين ؟

شرف الدين : نعم

كبير الشرطة : لقد صدقتنا . . إن من نظمهم جواسيس لم
يكونوا إلا فقراء قد انصرفوا بعد أخذ الأعطيات
والهبات . . وما أظن صاحب دمشق يطلب هؤلاء .
إنهم تجار وطلاب .

شرطي آخر : ما لنا ولعابري سوق التجارة ؟

شرطي ثاني : أو طلاب علم

شرطي ثالث : أو مرتادي بركة الشيخ . . بنا بنا

(يخرجون)

(يدخل الشيخ ووراءه ابن الحاجب ويصيح الجنود

خارجين في صف وقد وقف المماليك في بشر

يضحكون)

الـــــــــــــــز . ما هذا ؟

قـــــــــــــــطـــــــــــــــز : كنا نريد إهراق دمهم ، ولكن عدت لأنني

أعرف كيف أردم

(يحرك يده ببعض البدر فيفهم الشيخ ويضحك)

ابن الحاجب : تهباً يا قطز للرحيل
العز : واسلك مسارب تنجيك ومن هلك
قطز : ادع لنا بالنجاة، وإلى اللقاء في القاهرة
العز : إن الله معكم.. بلغوا عني، واحفظوا عهدي واعملوا
على تطهير بلاد المسلمين من الصليبيين وجموع
القتال وإحياء عهد صلاح الدين.. ذكرهم بأيامه.
(يخرجون ويهود الشيخان إلى مكان
يجلسان فيه يأخذهما صمت وتفكير)

ابن الحاجب : يا عز الدين فيم تفكر الآن ؟
العز : (يذبه من غمرة تفكيره) إن لله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بأنفسهم.. أهؤلاء جنود يرحى
مهم الحفاظ والأمن على دمشق ؟

ابن الحاجب : تلك عقبي اختلاط العرب بمخالات الأجانب...
أمشاج تشيع الفساد وتفتت الضعف

العز : إن دمشق الآن مهاد لعيث الفرنجية
ابن الحاجب : دمشق وأطرافها والحصون والقلاع وبلاد
الساحل... آه

العز : لا بد من تفكير وعمل حاسم

ابن الحاجب : يتقصنا القوة وإعداد وسائلها

العز : إني في سبيل إعدادها السريع

ابن الحاجب : أخشى ان يكون اعتمادك على العامة وثورة نفوسها

العز : آمنت بأن ذلك لا يكفي

ابن الحاجب : إنك لم تدع مثيرة للحماس إلا أشعلتها على منبر

الجامع الأموي ، ولا محبة للجهاد من كتاب الله

وسنة رسوله إلا أوسختها شرحا وإفاضة في

دروسك بالغزالية ، ولكن

العز : ولستكن ماذا ؟

ابن الحاجب : المشبطات والأطماع والأهواء والمغريات التي

يرسلها صاحب دمشق

العز : أعرف كل هذا وارغب إليك بأن تفضي الى بما

عساك كتمته عنى رفقا بي يوم أن حضرت

مجلس استفتاء العلماء

ابن الحاجب : قلت لك خبيوا ظني

العز : خبيوا ظنك وأسأموا الى أنفسهم . هذه رسائل

بخطهم يعترفون فيها بصدق موقفي

(بهم الشيخ ويتناول وثيقة فيها توقيعاتهم)

اقرأ .. إنهم في غفلة .. رجعوا وانحرفوا
لعرض الدنيا الزائل

ابن الحاجب : اذكر يا عز الدين أني مررت على القضاة والعلماء
والأعيان ، وقلت لهم إن الله يقول : « ولا تلبسوا
الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون »
وشددت التذكير عليهم .. والعجيب .. .

العز : العجيب أننا على الحق وغيرنا على الباطل .
ابن الحاجب : بل العجيب سكوتهم جميعا حين ضمهم مجلس
السلطان يوم الاستفتاء

العز : ألم يقل واحد منهم كلمة حق ؟ ألم يفهموه
أن حراما يبيع الأسلحة للفرنجة على حين أنهم
سيقاتلون بها جنود المسلمين ؟

ابن الحاجب : الذي أضحكني يا عز الدين أن الذي تكلم منهم
قال : السلطان أولى بالعفو والتغاضي والصفح
عندك .

العز : كبرت كلمة ... الصفح لا يكون إلا عن جرم
وأنا لم أجرم إلا أن أنادي بأن الإسلام والشرق
في خطر فادفعوا عنهما العوادي بالاتحاد

وإعداد القوة ومقاطعة المشركين والواغليين في
بلادكم من الطامعين .

ابن الحاجب : الحق أن في بعض العلماء تعصبا عليك ، وفي
نفس السلطان حرجا من تعرضك له في خطبة
المسجد الجامع ، وفي أغلاظك القول له ما
أعانهم عليك .

الـ : هذا لا يضيرني

ابن الحاجب : لقد ظفروا بثلاثة أشياء أراها معوقة لمهمتنا .

الـ : الأمر هين .

ابن الحاجب : لا تفتى ولا تجتمع بأحد ولا تبرح بيتك . . .
أهذا هين ؟

الـ : تلك من نعم الله الجزيلة الموجبة للشكر .

ابن الحاجب : لكن الناس في حاجة إلى فتياك .

الـ : كنت والله متبرها بها ، ولولا اعتقادي أن الله
أوجبها لتعينيها في هذا الزمان لما قمت بها .

ابن الحاجب : والآن ؟

الـ : والآن قد عذرتني الحق وسقط عنى الوجوب
وخالفت وبرئت ذمتي .

ابن الحاجب : ولزوم بيتك وعدم اجتماعك بالناس .
 عز الدين : والله ما منعتي أحد عن الناس ، وما لزم بيتي ،
 ألا ترى أني في بستان بأوى إليه جميع الناس ،
 ومع هذا فالسعيد من لزم بيته وتفرغ
 لعبادة ربه .

(تأخذه موجة تفكير ثم يتمم بكلمات ...
 يدوى صوت من وراء الحجرات في جمال
 وتطريب)

أحقا عباد الله أن است رائحا
 ولا غاديا إلا على رقيب
 ولا سائرا وحدي ولا في جماعة
 من الناس إلا قيل أنت مريب

ابن الحاجب : أفق يا عز الدين أفق .
 عز الدين : (يتمثل) إذا صح منك الود فالنكل هين . . .
 وكل الذي فوق التراب تراب
 (الصوت يبتعد شيئا فشيئا)

ابن الحاجب : يا عز الدين تريد أن تذهب نفسك حسرات وأنات
 عز الدين : ربنا الرحمان المستعان إن نصرة الدين أمانة في عنق

العلماء وتبصرة المنحرفين عن حقوق الوطن أمانة
في عنق العلماء

ابن الحاجب : وهل قصرنا ؟

العلماء : نريد أن نعمل ، لأنه لا خير في العلم بدون عمل
ابن الحاجب : أذنب إلى صاحب دمشق أعرض النصح له وإبطائه
العلماء : أيرجع بعد أن تورط وترامى في أحضان الفرنجة
الخير في مقاطعته والاثارة على عمله حتى فنقه
دمشق بل الشام جميعه من الخطر المحقق

ابن الحاجب : دعني أرم آخرهم . . . ثق بي يا عز الدين
العلماء : أن الذي يفرط في حق وطنه شفاء لحقد في نفسه
حقيق بالألا يقبل النصح وألا يجازى بغير المقاطعة

ابن الحاجب : بالله إلا خففت على نفسك وتركت لي . . .

العلماء : (مسرعا) : انت تنسى يا صديق لقد نصحت صاحب
دمشق في مجلس ضمنى والعلماء .

ابن الحاجب : جابته في عنف من القول وإغلاظ في النصح
وحدة في التعبير يا عز الدين . . . كان لك في المعارض
مندوحة

الْعَزُورُ : اذكر يا أخى أن -مدبثى كان نصحا لله بامتثال
 أوامره واجتناب نواهيه ، وطوعا لكتابه بالعمل
 بواجبه ولرسوله باتباع سنته والأئمة بإرشادهم إلى
 أحكامه والوقوف عند حدوده ، ولعامة المسلمين
 بدلائلهم على ما يقرهم إليه وينافهم لديه

ابن الحاجب : أدت ما عليك

الْعَزُورُ : هذا جانب من الجهاد

ابن الحاجب : جاهدت حق الجهاد بالنصح والبيان

« يستأذن أحد الطلاب في الدخول ويسلم »

الْعَزُورُ : مرحى ما وراءك؟

الطالِبُ : جدل يشغل الدمشقين . وعراك أثاره بعض

رجال الحشوية في خلافاتهم واجتماعاتهم التي يوهنون

بها تعاليم الشريعة

بن الحاجب : ضقنا والله

الْعَزُورُ : (في تفكير) : ... لا حول ولا قوة الا بالله

الطالِبُ : (يتريث) : ... أستاذى

الْعَزُورُ : آزفة ليس لها من دون الله كاشفة

الطالب : بلغنى أن الشرط يبحثون عن مشيرى الفتن والقلاقل
من الحشوية والمجسدين

الطالب : (فى تهكم) : لهم يحافظون على أمنهم وحياتهم
فحسب أين كانوا قبل أن يستشرى شرهم ويتألب
جمعهم وتزيغ به قلوب الناس .

الطالب : تعنى الحشوية من يقولون بالتجسيم والتشبيه ، أم
أهل البدع ؟

الطالب : كل ما عدا أهل التوحيد والتنزيه أعدم شركاء فى
الشر الذى جلب على بلادنا

ابن الحاجب : إنه الخبث فى الضمائر وسوء اعتقاد فى السرائر
الطالب : (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله

وهو مخبر إذ يبينون ما لا يرضى من القول)
الطالب : لم يبق أحد إلا ضجج من هذه الجماعة المطاردة
التي لا تحمل الإفساد وبث الفتن فى النفوس
والانجاسات والمقائد .

الطالب : سوف تضرب عليهم الذلة جزاء وفاقا (إنما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض

فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم
وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض)
الطالب : إنهم نهزون للفرص . لا تلوح أية فتنة إلا طاروا

إليها ولا غميرة إلا أكبروا عليها . . . إنهم يتحفون
بنفاق يبرأ منه الدين .

الْعَمْرُؤُ : كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله .

ابن الحاجب : أعاننا الله على مقاومة المفسدين

الْعَمْرُؤُ : (في حدة) : تعالى الله . . يابني (للطالب) غداً

تجمع جموع زملائك وإن لنا في المسجد الجامع
لشأنا (يخرج الطالب)

ابن الحاجب : بالله إلا أخبرتني ليطمئن قلبي

الْعَمْرُؤُ : سأعلن رأبي في الحشوية قاطعاً

ابن الحاجب : لا بأس . . إنهم كافرون بالله

الْعَمْرُؤُ : رأبي رأى السلف الذين حاربوا القدرية والجهمية

والجبرية (يتوجه إلى السماء) فوروب السماء ذات

الرجع والأرض ذات الصدع إن الحشوية المشبهة

كافرة لأنهم يشبهون الله بخلقه ويحسبون أنهم على

شيء . . . يابن الحاجب السنا وريثة الأنبياء ؟

ابن الحاجب : نعم . . ونحفظ من كتاب الله (ولتكن منكم

أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون

عن المنكر)

المعروف : من أنكر المنكرات التجسيم والتشبيه ، ومن
أفضل المعروف التوحيد والتنزيه

ابن الحاجب : أخشى يا عزم الدين

المعروف : إنا لا نخشى إلا الله

(يستأذن رسول صاحب دمشق ووراهه ، بعض

الجنود يمشون عن قرب)

رسول صاحب دمشق : السلام عليكم

المعروف : وعلى المؤمنين السلام

الرسول : (في انحاء) : رسول السلطان

المعروف : (يتمهل . . . ويتلو) :

وإن تولوا فاعلموا : أن الله مولاكم نعم المولى

ونعم النصير ،

(يتراجع الرسول ويتحفز ابن الحاجب)

الرسول : (في رعدة) : يا سلطان العلماء ما على الرسول

إلا البلاغ

المعروف : قل وأوجز

الرسول : إن صاحب دمشق

- المسز : أعاد الوعيد ، أليس كذلك ؟
 سوف لا تحدثني بمجرد يا هذا
 ابن الحاجب : أود أن تترفق برسول صاحب دمشق
 المسز : يا رسول أبي حبيش .. هات ما عندك .. هات ما
 أفرغه عليك
 الرسول : أمرني أن أبلغك أن الفتنة نائمة
 المسز : لعن الله مثيرها ومن يحب إثارتها
 الرسول : (في دهشة) : يخيل لي أنك تدرى ما في الرسالة
 المسز : أحملت رسالة ؟
 الرسول : خطبها السلطان بيمينه
 المسز : اذن هاتها

(ويشير في استخفاف فيتقدم الرسول بالرسالة)

الرسول : ما هي ذي . . . (يفضها عز الدين ويأظر فيها)
 هاها . . . إن صاحب دمشق يعيد ما بدأ به
 إخوان له من قبل (يتهحك في أسف) هيه (يعيد
 ما قرأ في استخفاف) [إن كنت تدعى الاجتهاد
 فعليك أن تثبت ليكون الجواب على قدر الدعوى
 ولتكون صاحب مذهب خامس .]

العدو : (يلقى بالخطاب في استخفاف) : الجواب ما أكتب

لا ما تسمع أيها الرسول ، معى إلى حجرة الأمانى
حتى أملى عليك رد ما يطالب (بمضيان) .. كم يح
صوتى من قولى .. إن أصول الدين ليس فيها
مذاهب .. الأصل واحد والخلاف فى الفروع

جندى : (لزملائه) : أكاد أجن .. خطيب الجامع الأموى

وشيخ الشافعية يفتى بتحريم بيع السلاح

جندى آخر : وتوافقهم علماء الحنفية والمالكية وفضلاء الحنابلة

تالك : أهنك من يخالف فى تحريم ذلك ؟

الجندى الأول : جماعة يحقدون على الشيخ الرز ويسكتون عن إبداء

الرأى طلبا لرضا سلطان دمشق ويرى السلطان

أن مجاهرته بالرأى إثارة للفتنة .. أكاد أجن

(تسمع خطوات جنود فى اندفاع)

(يصطف الجنود ويدخل الصالح إسماعيل .

ابن الحاجب قد أخذ جنديا واتمحنى به

ناحية ..)

الصالح إسماعيل : اين ابن عبد السلام ؟ (تأخذ الجند دهشة وخوف)

ابن رسولنا إليه (يلتفت الصالح إسماعيل فيرى

رسالة منشورة على طرف أريكه)

الصالح اسماعيل : هذه رسالتنا ؟ . إنها ملقاة .. هيه أيها الجنود أين

رسولي ؟

الجندي : إنه مع الشيخ في حجرة الأمانى

الصالح اسماعيل : مؤامرة .. رجالى واحد منهم مع رأس الثائرين

وباعث حركات المتمردين، وآخر مع ابن الحاجب

(يلتفت إلى ابن الحاجب) مؤامرة أخرى ..

أيها الحراس اقتحموا عليهما الباب .

(يخرج العز على صوت الجلبة فيجابه الجنود

والصالح اسماعيل)

العز : اقتحمت بيتى يا أبا الحبيش

الصالح اسماعيل : أنا الصالح اسماعيل .. صاحب دمشق ، ما يوجه

إلى هذا القول

العز : كن كما تشاء .. لكنك الآن مخالف قول الله ..

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم

حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها)

الصالح اسماعيل : أبذلك تخاطبني وأنا الذى وليتك خطابة الجامع

الأموى وعفوت عما جرت به صرامة لسانك وتحديك

لا عواني ومناواة ما أبرمه من عهد
 للعز: هون عليك .. علينا ألا نكتم الحق وألا نحل
 ما حرم الله

الصالح إسماعيل: أنت تعارض في تعاوني مع الفرنجة
 للعز: لا ينبغي أن نتخذ من أعدائنا أعوانا (يا أيها الذين
 آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم
 خبالا، ودوا ما عنتم، قد بدت البغضاء من أفواههم
 وما تخفي صدورهم أكبر)

الصالح إسماعيل: أريد منك أن تعود غدا وتعلن للعامة غير
 ما صدعت به

العز: كبرت كلمة أقولها في غير ما يأمر به الشرع
 الصالح إسماعيل كل: وماذا تريد أن تقول؟

العز: سأعيد ما قلته (إنما يحرم عليكم مبايعة الفرنجة
 لأنهم يشترون الأسلحة ليقاتلوا بها المسلمين)

الصالح إسماعيل: (مقاطعا): قضي الأمر .. توقعت أنك لن
 تستجيب للرسول فأنتيت بنفسى .. يا عز الدين
 أنت معزول ومبعد عن الخطابة في الجامع

العز: سأجعل من كل مكان يسمع فيه الأذان منبرا أدعو

فيه إلى مناوأة أعداء المسلمين

الصالح اسماعيل: لن تمكن من هذا (يلتفت) .. يا كبير الشرطة
كبير الشرطة : نعم يا مولاي

الصالح اسماعيل: خذه إلى السجن .. سجن القلعة .. قلعة دمشق ..
ولم يالك أن يتصل به أحد

ابن الحاجب : ترفق بالعلم والعلماء ، واحذر ثورة النفوس ..
لقد سجنته من قبل

الصالح اسماعيل: (لكبير الشرطة) : خذه معه أيضا

الـ : لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .. إنا من جنود
الله ، وكل جندي لا يخاطر بنفسه لا يعد جنديا ..

(رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه)

« سنار »

الفصل الثاني

(نشر محاط بتل يطل على مدينة الكرك ..)
نخبات حول نخيلات غرست في سمى ، ربط ،
وأمكنة اتخذها بعض المتصوفة « الدراويش »
خيمة قريبة بيابها درويشان . أصوات غير بعيدة
من وراء المرتفع)

الأصوات : يا رجال الليل جدوا رب صوت لا يرد
ما يقوم الليل إلا من له عزم وجد

قد مضى الليل وولى وحببي قد تخلى
(تبعد الأصوات تدريجيا)

أحد الدراويش : ما هذه الأصوات ؟

الدرويش الثاني : إنها تدعونا

« لأول : لي رغبة فلاصل من أجلها

« الثاني : ألا تعلم يا صديقي أنها بدعه

الدرويش الأول: تريد ان تتخذنى

• الثانى : أفتى شيخنا العز بأنها بدعة . وأنت تعلم أن كل بدعه ضلالة

• الأول: وكل ضلالة فى النار .. ولكن ..

• الثانى : أتعجب من ذلك ؟

• الأول: هل أفتى الشيخ حقا ؟

• الثانى: نعم ومنع صلاة النصف من شعبان ودعائها المصنوع

(يسمع الصوت مرة أخرى ثم يتقدم جمع من الدراويش فى نشاط ينشدون)

الدراويش : يا رجال الليل جددوا

قد مضى الليل وولى (يكرر هذا)

(بتأثر الدراويشان وتأخذهما نشوة السماع، وينسل شاب مفتول العضلات هو دقطز يصحبه فتيان أشداء فى ملابس الدراويش يمشون فى المؤخرة)

قطر: (لأعوانه هامسا) : مع الدراويش ولا يشعرون

بكم أحد حتى نلقى الشيخ ، وإياكم أن يعلم أحد بأننا

من مصر

الدرأویش : (یرددون) : بارجال اللیل جدوا
 الدرأویش الأول : إن لم تكذبني عيني في نظرتها المأبرة فهذا الفتى
 الوسيم أعرفه ، إنه قطز (الدرأویش لنفسه) الخبير
 في أن أدعه وشأنه . . وما يدريني ربما شبه لي فما
 رأيت من يوم أن كنا نتلاقى في مجالس الشيخ
 بدمشق . . أيام خات

(درأویش ثالث يقترب من الدرأویشين)

الدرأویش الثالث : ماذا تقول يا رجل . . ؟ أتحدث نفسك ؟ .

• الأول : لا . . . لا . . . أخذني تطريب الدرأویش .

• الثالث : وأحداث النهار ألا تصدعك ؟ .

• الأول : وحملت زفرات الضحى فأطقتها

وما لي بزفرات العشى يدان

• الثالث : إنك محب . .

• الأول : أحبها وتحبني .

(أغاني الدرأویش تتردد مع موسيقى غامضة رهيبه

لا يعرف مصدرها ، يتقدم درأویش ومعه رجل

يتمايل وفي يده زجاجة يخيل للرائي أنها مملوءة بالخمر

المعتقة ، يشده بقية الدرأویش)

الرجل المخمور : متمناى سكرة قبل موتى

وصياح الغليان يا سكران

(يتراقص ويقول فى لشمعة السكران)

وصياح الغليان ياسكران . . ياسكران . .

يا سكران . .

(يلتف حولهما الدراويش . هذا يصبح . والثانى

يتألم ويهم أحدهم بضرب الرجل) .

أحد الدراويش : (يمسك بخناق المخمور) يا رجل ثب إلى رشدك .

(الخم-ور) : أرق هذا .

(المخمور) : ونشربها فتمزكنا ملوكا واسدا ما ينهنها اللقاء .

الدرويش : يا رجل . . أفق

شربنا على ذكر الحبيب مدامة

سكرنا بها من قبل أن تخلق السكرم .

درويش آخر : يا رجل . أهذا يليق ؟ (ويلتفت للدرويش المزامل)

وأنت معه ؟ ؟

(المخمور) : (و جد وحدة) أو يليق بكم أنتم أن تقبعوا هنا

تواجدون ولا تمتد همتكم إلى دفع المنكر . .

هناك . . حيث تعاقب الخمر وترتكب الفواحش

ما ظهر منها وما بطن (يبهت الدراويش) .

درويش : إذن أنت است سكران .

الرجل : أجل . . وما كان لمثل أن يرتكب هذا الجرم .

إن هذا هو البلاء المبيين (في غضب) أنت يقظان
فلماذا التصنع (يسكت الرجل المتظاهر بالسكر)

الدرويش : أريد أن مجرد دعاة يتشرون في دمشق وعواصم

الشام يأمررون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويحثون على الجهاد .

درويش : صدقت وبررت .

درويش آخر : ونلبي دعوة العز .

حد الدراو يش : وندع العبادة وقيام الليل ونخلع خرقة الصوفية ؟

الرجل : (يتقدم إليه ويمرزه بيده) : ما أحسن هذه الخرقة

لو بدلت بمنجن، وما أجمل هذه القدم لو أثارت

غبار الحرب وما الذاتواجد والتمايل في

تسديد الضربات وتحمي الطعنات . ما أهب

الجهاد في سبيل الذرد عن حمى الإسلام والمسلمين

صوت : يا رجال الليل جدوا رب صوت لا يرد

ما يلاقى الحرب إلا من له عزم وجد

(يردد ما يلاقى الحرب إلا . . الخ)

(يبعد الصوت تدرنجيا)

الدرويش : التصوف ثورة الضمير لما يصيب الناس من
 مهانات وما يلقى عليهم من ظلم، أما سمعتم بانتهاك
 الحرمات في دمشق واختلاف الكلمة بين
 ملوك المسلمين، تفرقوا شيعة وكل حزب بما لديه
 يكد للآخر والعدو بالمرصاد

الدرويش الثاني : ما أراني إلا متأثرا بهذا القول
 متحمس من الدراويش: ألم يقل العز بن عبد السلام إن العلماء
 مشرلون عن تقرير الحكام وإرشادهم

آخر : وكيف ؟ . أبا السيف ؟

المتحمس (يرد في حدة) إن لم يكن بحد السنان
 فبالحسنى وجد البيان (جندى يندفع)

الجندى : أين العز بن عبد السلام . . أين ينزل يا رجل ؟

الدرويش : العز بن عبد السلام ؟

الجندى : نعم . . العز بن عبد السلام

الدرويش : ليته يكون هنا

الجندى : أتكره ؟

الدرويش : إنه الشمس يا شرطى لا أستطيع أنا ولا أية

قوة في الأرض أن تخفى مكانه

الجندى : ألا تعلم أنه مطلوب من . . .

درويش آخر : مطلوب من ؟

الجندي : من مولانا الصالح إسماعيل

(تلتف مجموعة من الدراويش)

الدرويش : آه .. مولانا أنت .. ضقتم بدعوته ومناهضته

لأعداء الإسلام

الجندي : (يلاحق به آخر وآخر) : لا نضيع الوقت

الدرويش : ليته بيننا الآن ... ليت وهل ينفع شيئاً ليت

الجندي : لا تثرثر - إننا نريد مكان « العز »

الدرويش : نخل عنك ، إنكم لن تنالوا منه شيئاً

الجندي : (لزمياهم) إنه درويش . هيا لنبحث عن طلبتنا

نخل هذا .. إنه يهذي

الدرويش : أنا أهذي . (يضحك)

(الجندي يدفع الدراويش في سخرية وينصرف
ووراءه الجنود)

صوت : يارجال الليل جدوا يارجال الليل جدوا

(يخرج العز من خيمته)

الدرويش : (يقوم نافضاً عنه ألم اللكمة) : شيخى العز ..

لأنهم يطلبونك

- العز : ان يصلوا إلينا . هون عليك
 (يندفع نحوه قطز من خلف نخيلات بعيدة)
 قطز : سيدي العز مرحبا بسلامتك (ويتحى به جانبا)
 مهر في شوق إلى لقائك . إن القاهرة في زيتها .
 الصالح أيوب ومفتي القاهرة ونواب السلطنة
 وجند القلعة يستعدون للاحتفال بمقدمك
- العز : كل هذا ياقطز
 قطز : حمد الله على نجاتك
 العز : الحمد لله على السراء والضراء . لا تخش فائقه معنا
 قطز : وأين شيخنا ابن الحاجب ؟
 العز : إنه في ضيافة الناصر داوود . . . بقصر الإمارة
 قطز : هدى الله صاحب الكرك
 العز : إن ابن الحاجب أستاذه ولابن الحاجب دالة عليا
 قطز : أخشى يا سيدي من أحابيل الصالح إسماعيل
 وتغريره بصاحب الكرك
 العز : هيات أن ينال هنا شيئا . . . لقد تركنا له دمشق
 قطز : ان تتركها
 العز : حياك الله . . . نعم ان تتركها للطغام وحفقات جائعة
 تعيش فسادا في أرض العرب ومدارج الإسلام

قطر: إن سلطان مصر لابد أن يتخذ دمشق-فلترحل الآن
(درويش يتقدم ويسمع آخر كلمة)

درويش: كيف؟ إن الشيخ في ضيافتنا

قطر: ليس هذا وقت الضيافة.. يجب أن نرحل إلى
مصر سريعا

العمر: كل آت قريب

قطر: أخشى يا سيدى.. وهم يجردون في طلبك.. أن..

العمر: (مقاطعا): كن على يقين من أنهم لن يردوني عن غايتي

قطر: والساعة.. ماذا ترى؟

العمر: الآن عد إلى مكمنك وخذ حذرك.. وأنتم أيها

الدراووش إلى صلاتكم وخيامكم ودعوتى، فان

الناصر وابن الحاجب قد يحضران الآن

قطر: طاعة لك سأترقب

العمر: شكرا لك يا ولدى.. (ويبلغت فيرى أحده

الدراووش قادما، يتقدم وراه آخر)

الدرويش: أحسب القادمين من جنود الصالح إسماعيل

يريدون بسيدى الشر

العمر: الله خير حافظ

درويش آخر : ألمح من هدوء السائرين أنهم من جماعة الناصر داوود
 العز : إنه الناصر . . لاشك ، هيا ... كل إلى وجهته
 (ينصرفان ويميل العز إلى جذع نخلة)

(ثم يقدم الناصر داوود ومعه ابن الحاجب)

للناصر داوود : السلام على شيخ الإسلام

العز : وعليك السلام . . . (تحايا)

(يجلس ابن الحاجب والعز والناصر حول جذع

النخلة وتمضي الجنود غير بعيد)

الناصر : أي سر في إيثارك هذا المتعزل .

ابن الحاجب : لعله آثر الاستجمام بعيدا عن جو السلاطين

العز : إن هذا المكان أشقى لنفسى التي ملت دمشق

وصنائع المغيرين

الناصر : أرجو أن تشرف السكرك وتنزل في قصرى ،

لأنى تلميذك وهذا أستاذى عمرو بن الحاجب ،

وأتما صديقان

العز : أما يكفي ابن الحاجب ؟ إن الأمر أجل من أن

ترك وقتا دون أن تفكر في مستقبل الشام بل

في بلاد الإسلام أجمع

ابن الحاجب : إن الإسلام ربا يحميه وإن يترك الله أهل دينه أبدا
الناصر : تعالى الله

الناصر : وقيل اعملوا فسيرى الله عملكم وكفاحكم . . ومن
آثر الله على نفسه آثره الله ومن طلب رضى الله بما
يسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ،
علينا أن نحفظ الله بحفظ أوطاننا وديننا .

ابن الحاجب : نصحننا ولم يبق إلا الخروج .

الناصر : أأخرجوكم ؟

ابن الحاجب : حملونا على أن نفر بديننا

الناصر : أعلم أنكم خرجتم بمحض إرادتكم .

الناصر : ليس هذا موضع الجدل .

الناصر : ما رأيك لو عمل الصالح إسماعيل على إرضائك
لأرجاعك إلى دمشق .

الناصر : إن أرجع عن عزمي .

أحد جنود الناصر : (يتقدم من الناصر قليلا) : سيدي . . أرى

شركة من جنود الصالح إسماعيل مقبلة .

الناصر : خذوا الأهبة أيها الجنود (يعدون السلاح)

المسـ : (يشهد الاضطراب على ابن الحاجب) : لا تخشى
شيئا يا ابن الحاجب
(في كل شيء اذا ضيعته عوض

وليس في الله إن ضيعته عوض)
(في مدوه الواثق) أنا عازم على المضي إلى مصر . قبل
أنت مرافقي إلى بلد أراه موطننا خصيبا لدعوتنا
والدفاع عن كيان الشرق أجمع .

ابن الحاجب : ألا تقيم وقتنا هنا حتى تتعرف استعداد المصريين
المسـ : ثق بي . لقد أعددت العدة ، وأخذت الأمانة
وليس في مصر من يتقاعد عن نصره الشرق
والدفاع عن دين الله

الناصر : إن سيدي ابن الحاجب له على من الحقوق ما يقضى
بأن أرد جميل بعضها ، وإنه ليؤثر أن يتم تأليف
كتابه (الكافية) في حياطتي وعنايتي .

المسـ : وكفى الله المؤمنين . .

ابن الحاجب : حبذا لو بقي معي شيخ الإسلام بعض الوقت حتى
نستجم ونظمتن قبل دخول مصر

المسـ : الرأي الأخير هو أن أرحل إلى مصر
الناصر : أو ليس لنا رجاء عندك ؟

- العـــــــــز : توكلت على الله وعزمت ولا واد لي من هذا
- ابن الحاجب : إذن أمضى معك
- العـــــــــز : بعد أن تقضى وقتنا هنا وتفرغ من كتابك ..
- لك أن تدركني هناك .
- جندي آخر : مولاي .. رسول من الصالح إسماعيل صاحب
دمشق يريد لقاء شيخ الاسلام
- النـــــــــاصر : ومعه جنود
- الجنـــــــــدي : نعم .. وقفوا غير بعيد
- النـــــــــاصر : (يتلفت إلى العز) أتأذن للرسول ؟
- العـــــــــز : ليس لي رغبة في لقائه ، ولكن لا مانع عندي
- النـــــــــاصر : وماذا لو وقفنا على ما يحمله
- العـــــــــز : لا بأس
- النـــــــــاصر : ليحضر رسول الصالح إسماعيل
(الجندي يرجع التعمقري)
- ابن الحاجب : إن صبح ما روي لي كان الصالح إسماعيل على
مقربة منا
- النـــــــــاصر : أعلم أنه ضربت خيمة قرية عهد ، ولا يعد أن
يكون الصالح إسماعيل قد جاء متخفيا .

ابن الحاجب : عساه راجع نفسه في مرقفه من شيخ الاسلام
 العز : الامر هين بالنسبة لا يذاني وحبسي .. لكنه
 اضاع على الاسلام والمسلمين هيبتهم .. ويمكن
 للاعداء في بلادنا

النصار : ستعلم من الرسول كل شيء
 العز : لا حاجة لي بعلم ما لا يجدي
 (يتقدم الرسول)

الرسول : السلام عليكم
 الجميع : وعليك السلام
 الرسول : ان مولاي في خيماة ضربت له ومعه الامراء
 وبعض قواد الفرنجة وصاحب حمص .
 العسز : (في امتعاض) قل ان الله من يمكن لهم من سيادته
 واستعباده

ابن الحاجب : تمهل حتى نسمع .. لا يكن في صدرك حرج
 الرسول : سيدي .. شيخ الاسلام .. ايمهم ما جاءوا الا
 ليستعطفوك وارجعوك الى دمشق
 النصار : هذا ما توقعت .

العز : ان ارجع في ركاب الفرنجة .. ان نرجع الى
 محنتكم بعد ان نجانا الله منها .

الناصر : ثم ما وراء الرسول

الرسول : سيدي الصالح إسماعيل أرسل إليك ، ولعل
الرسول في قصرك الآن .

الناصر : ماذا من أجل الشيخ ؟

الرسول : إن مولاي لا يرى بأسا في أن يعود الشيخ إلى
ما كان عليه وأكثر

الناصر : يا شيخنا .. ابن الحاجب يقيم عندي .. وأنا

لا أطمع في إقامتك لأن الكرك لا يتسع لعلمك
ومقامك ، وهذا الصالح إسماعيل يطلب عودتك .
فهل ترى بأسا في لقائه ؟

الناصر : (يتور) : لا أرغب في لقاء رجل ينزل عن حصون

الإسلام لأعداء الإسلام .. حصن الشقيف ..

وصيدا أعطيا للفرنجة .. إن نزول هذه الوصية

بل الوصيات حتى نزول الجبال .. وأشد من

هذا بيع الأسلحة للفرنجة وهم يحاربون بها المسلمين

ما هذا ؟ (يتوجه إلى الرسول في ثورة)

ابن الحاجب : لا حول ولا قوة إلا بالله

الناصر : إتنا ننكر هذا ونأباه

النصارى : لعلمها المصانعة

المسز : على حساب الأوطان (يلتفت إلى الرسول) .

أيها الرجل قل لتلك الشرذمة : أتم في واد
ونحن في واد

النصارى : مهلا (يلتفت إلى الرسول) أتم كلامك

ابن الحاجب : هو ذلك

الرسول : (يظهر القوة في كلامه) : أن سلطان دمشق على

أمة وهذا منديله، وكان الرأي أن يعتقل الشيخ

ويعيده السلطان إلى دمشق . . ولكنه بعث في

لا تطف، وما على الشيخ إلا أن ينكسر شيئا

لصاحب دمشق . . ويقبل يده لا غير

المسز : (في ثورة) : ماذا تقول ؟ . . أقبل يده . . والله

يا مسكين . . ما أَرْضِي أن يقبل يدي فضلا عن

أن أقبل يده . . أرجع إليه وقل له . . إني أرحب

بالاعتقال وأرحب بأن تفتلوا ما بدا لكم . . وقد

فعلتم - (يتوجه إلى السماء) الحمد لله الذي عافاني

ما ابتلاكم به

الرسول : ياسيدي الشيخ . . ما على الرسول إلا البلاغ

الناصر : مهلا

ابن الحاجب : (يكاد يبكي) : لا حول ولا قوة إلا بالله

الرسول : إن وراء السلطان قوة لا تجهل

ابن الحاجب : الله أقوى

الناصر : مهلا .. ماذا في لقاءكما ؟

المسز : قات : لا أمل ولن أريه وجها عرف الاتجاه
إلى الله .

(يدخل أحد جنود الناصر لاهثا مجهدا)

الجندي الآخر : مولاي الناصر

الناصر : ما وراءك ؟

الجندي الآخر : أريد أن أسر إليك

ابن الحاجب : ألمح للشر

المسز : لا شر بعد اليوم

الناصر (يتنحي جانبا بالجندي الآخر)

المسز : (لابن الحاجب) : إن الناصر داوود مخدوع في

استقلاله بالكرك .. لقد غره انصراف الفرنجة

عنه .. إنهم يمكنون لقوتهم في دمشق بعد أن

استولوا على الحصون .. وبعد ذلك يجتاحون

ملكه . . . لانهم لا ايمان لهم

النصارى : (يا امر الجندي بالانصراف . . . ثم يتجه إلى

رسول الصالح [إسماعيل] : ما هذا ؟ ما الذى دفع
جنديكم إلى التحرش بخطوات شيخ الاسلام ؟

الرسول : (فى استخذاء واستحياء) لا علم لى بشىء

النصارى : إن هذا هو المختل بعينه . . . جنود وجواسيس

تترسم خطى الشيخ وتبحث عنه فى كل مكان . . .

وإن صح ما بلغنى من توعد وتحين للقبض على

الشيخ ، فستكون الطامة الكبرى . . . عد

الى مولاك وقل له : إن الحزم فى منع الجنود

عن الشيخ هسى أن نسترضيه

الرسول : يا مولاي . . . احذر خدع الشائعات . . . ولا تنس

ما بينك وبين الصالح نجم الدين

النصارى : بلغنى الآن مالا أرتاب فى وقوعه ، إن الفرنجة

ما دخلت سياستهم فى شىء الا أفسدت عقول من

يستطيعون توجيههم . . . عد إلى مولاك وحذره

اللعب بالنار . . . إن تقاليدنا وديننا يعافان الفتك

والغدر بالأبرياء

الرسول : إن العز أثار علينا دمشق وشوه سياستنا وأفسد

خططنا (في همس) ولا تنس - اتصاله بمصر
والرسائل التي تتوافد عليه

الناصر : العز يدعو إلى وحدة المسلمين ويحثهم على دفع

المغير من تثار وفرنجة . . إنه يثير الحمية
الإسلامية وينمي النخوة الوطنية . . يخاف أن
يتخطفنا كل واعل في بلادنا

الرسول : وبماذا تأمرني يا مولاي

(يلتفت العز ويصمت ابن الحاجب)

العز : هيات أن يكون لأمر الناصر جدوى

للناصر : وكيف أيها الشيخ ؟

ابن الحاجب : (للعز) : أعرف مكانة الناصر وقدر توجيهه

العز : إن الصالح إسماعيل . . لن ينهض بوصاة الناصر

أقد تسلط عليه هوى الخوف من الغزاة . .

لأنهم ليده التي يوطش بها وعينه التي يبصر بها

وعقله الذي يفكر به

الرسول : إنك تبالغ يا سيدي الشيخ

الناصر : لا أظنه ينزل إلى هذا الدرک وينسى ثورة
العامّة عليه

العز : ستريك الأيام

الناصر : أتاني من الأنبياء ما أتى ولكن .. (للرسول)

ارجع أيها الرسول إلى مولاك

الرسول : أبلغه عصيان الشيخ؟

الناصر : لا .. بل اطلب إليه أن يتريث

العز : بل بلغه خروجي عن طاعته وتمردى على سياسته
تقربا إلى الله

ابن الحاجب : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

الرسول : ليأذن لي مولاى الناصر .. وأنت يا شيخنا العز

عزيز علينا ألا تجيب

العز : لا يضار ناصح ولا يضام آبق من صفوف
المستعبدين

الناصر : خفف القول أيها الرسول

ابن الحاجب : ومع اليوم غد (ينصرف الرسول ويصعد الجميع)

قطر : (يدخل) : السلام عليكم

الجميع : وعليك السلام

(يندفع بعض جنود الناصر وراهه)

الجندي : من تكون أيها الرجل ؟

الناصر : (في اهتمام) تنح أيها الجندي

الناصر : أتعرفه ؟

الجندي : إنه تلميذي و ..

الناصر : مكانكم أيها الجنود .. من تكون يا رجل ؟

الجندي : إني من جنود الشيخ

ابن الحاجب : (للناصر) أبناء الشيخ و طلابه يملأون الامكنة

والبقاع

الناصر : (في اهتمام) لياذن لي أستاذنا العز بعض الوقت

فرسول الصالح إسماعيل هناك في قصره ، وبعد أن

أقاه عسى أن نوفق إلى حل

الجندي : إنك مشكور .. ولا أنسى لك فضل تكرمك

وحسن رعايتك لابن الحاجب

ابن الحاجب : إني لا أطمئن على بقاء العز هنا

قطر : لا تحذروا شيئا ، ولا يكن أمر حياطة الشيخ

عليكم غمة

العـــــــــــــــــز : رعاك الله يا ولدي .. أريد أن أنفرد وقتنا
بتلميذى هذا

الناصر : أظنها خلوة .. صوفية

العـــــــــــــــــز : (لا بن الحاجب) : أتمنى أن تجد راحتك في
قصر الناصر

ابن الحاجب : همى أن أطمئن عليك

الناصر : لا تفكر كثيرا وفوق ما يتطلبه الموقف

العـــــــــــــــــز : إن الطريق طويلة والهدف لم يزل بعيدا على الراى

الناصر : بنا يا بن الحاجب حتى يهدأ الشيخ بين مرديه ،
وانصرافنا عنه الآن يرضيه

ابن الحاجب : كان بنفسى أن تصحبنا يا عز الدين

العـــــــــــــــــز : من الحزم أن أبقى هنا وقتنا

الناصر : لعله لا يطول .. (فى طريق التحرك للانصراف)

العـــــــــــــــــز : أرجو ذلك

قطـــــــــــــــــز : إن شاء الله

(الناصر وابن الحاجب يمضيان ووراهما)

(الجنود)

الـ_____ ز : هللت الانتظار وضقت من التخفي يا قطر ؟

قطر_____ ز : خنفت على ذلك أنى درست هنا منافذ الطريق

وعرفت ما لم يتيسر لى من قبل ، و الذين صكبتهم

معى من مصر رجال أشداء المراس أقوىاء

الزائم ، ولكن . .

الـ_____ ز : ولكن ماذا ؟

قطر_____ ز : أشك فى إخلاص صاحب الكرك وهو يصانع

صاحب دمشق ويضيق بصاحب مصر

الـ_____ ز : لا يهمه إلا سلامة إمارته

قطر_____ ز : وكفى بذاك ضعفا . . أترانا ستترك له شيخ

المالكية ؟

الـ_____ ز : إلى أجل وسوف يلحق بنا هتاك فى القاهرة

قطر_____ ز : إن شاء الله

الـ_____ ز : ابن الحاجب لا يرى الحياة إلا علما وبخنا واقصد

لقيت من مؤازرته فى دمشق ومزاملته فى رحلتى

هذه ما يجعلنى أجد له همته . . وقبل ذاك زاملنى

فى سجن دمشق حتى خلاصنا معا وربما كان وجوده

هنا يحول بين صاحب الكرك والانقلاب

ضد الصالح نجم الدين أيوب سلطان مصر

وأملك لم تنس تاريخ الحزانات والانقلابات
والمناورات بين وراثي ملك صلاح الدين الأيوبي

قطر : رحم الله صلاح الدين . . . لقد خلف وراث
ملك لابنة محمد

الـ : إن لنا في مصر وسلطانها لأمل

قطر : هو ذلك ياسيدي . . . وأحب أن تحدد وقت
الرحيل ، فالقاهرة ترقب ساعة وصولك

الـ : أنا في شوق إلى القاهرة بين ألا يعلم بمقدمنا الفتى
الفاضل ابن دقيق العيد والمحدث الحافظ زكي
الدين عبد العظيم المنذرى ؟

قطر : نادى المنادى في القاهرة مديعا خيرا قدومك .
فأعان صاحب الإفتاء بأنه سيتوقف عن الفتوى
إذا هبطت أرض مصر . . . احتراما لمقامك
وعلمك .

الـ : حيا الله علماءكم ، أن مصركم ملتقى المفساخر . . .
وأمل إن يجمع الله فيه كل شتيت

قَطْر : أن مصر أصبحت كمية القصاد من العلماء
والمتصوفة وأحرار الرأي وقادة الفكر

العالم : حفظها الله وحفظك يا ولدي ورعى كل من يدافع
عن حى الاسلام وأوطان العربيه
(يقدم أحمد الدراويش)

الدرويش : سيدى الشيخ . . . آن وقت التلاوة وحملت
ساعة النهجد

العالم : لتكن التلاوة فى هذه الخيمة القريه .. أتصحبني
يا قطن؟ (ينصرف الدراويش)

قَطْر : إن أذنت لى بالبقاء هنا كان أجدى
العالم : أتخاف من شىء؟

قَطْر : من أشياء . . .

العالم : من أشياء؟

قَطْر : نعم على مقربة منا رجال من أتباع الصالح إسماعيل
وشراذم من الفرنجة ولا تستبعد ما أرهص به
رسول من أن الصالح إسماعيل بين خيامهم

العالم : لعنه ذلك . . . وحتى تطمئن. تأمر الدراويش . . .

قَطْر : وحقك إلا تركت لى ولرجالى الذين يكمنون فى

المتعرجات والأودية مهمة حراستك وحياتك .
 وكل ما أرجوه منك أن ترسل عقب القراءة
 والتهجد . . لقد دبرت كل شيء وعلى الله قصد
 السبيل

العز : بعد خلوة قصيرة أمر أولادى بالتأهب للرحيل
 قفا : وتعلم سيدي أن رجال الصالح إسماعيل . . .
 ليسوا إلا قوى دارت برؤوسها الخردوب في
 أوصالها سوس الترف . . . يكفي أن خيامهم
 وهي على مقربة منا - تنص بزقاق الخردوب وتطوف
 بها النساء والولدان . . .

العز : وقانا الله شرهم .
 قط : سيرد الله كيدهم في نحرهم
 العز : ولينصرن الله من ينصروه . . (ينصرف الشيخ إلى
 خيمته يأخذ قطر في إعداد سيفه ويصفق خفيهما
 فتظهر جماعة من الجنود كانت منبطحة على بعد
 ويتقدمون إليه فيمس في أذن كل منهم . . ويعودون
 مسرعين) .

(يسمع صوت يردد آيات من القرآن)

(قطار منفردا تأخذه نشوة التلاوة)

الصوت : إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن
يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا ..
صوت من الخيمة: (يسمع تكبير وتهليل) الله أكبر ، الله أكبر ..

(قسيس يمر ومعه إعرابي .. يمشيان الهريني وهما في
شغل الا بالنظر الى الخيمة .. قطار يسمع حديثهما):

القسيس : يعجبني هذا الهدوء وصفاء النسيم ويشوقني أن
أسمع كثيرا من هذا الصوت الجميل المرتل .

الإعرابي : (لنفسه) صدق الله العظيم ، ورتل القرآن ترتيلا
القسيس : إني أشعر بحلاوة هذا الكلام .. من يكون
صاحبه ؟

الإعرابي : إنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه .

القسيس : ومن الذي يسكن هذه الخيمة ؟

الإعرابي : ألا تعرفه ؟

القسيس : لا أعرفه

الإعرابي : إنه .. لا داعي

القيس : قل لي بحقك وأنت على سره وسرك آمن
 الأعرابي : إنه شيخ الإسلام . . العز بن عبد السلام
 القيس : آه . . عرفت . . من يطالبونه ويبحثون عنه
 الأعرابي : (لنفسه) خست . . ما كان ينبغي لي أن أدلك
 على موثقه

القيس : لا . . لا . . لن أدل عليه . . لست ممن
 ينكرون حق رجال دينهم ، لو كان عندنا مثله . .
 لجعلنا من أرواحنا فداء له . . أود أن ألقاه . .
 عدني . . أو لا . . فقد ينسجها لقاتي . . أيها الأعرابي
 إمض بنا إلى مكان آخر . . حتى لا تنغص على
 الرجل خلوته وعبادته
 الأعرابي : أشكرك أيها القيس . .

(يأخذان في السير . . شبهان يتمايلان ويقتربان)
 جندى : ما أتى بنا في تلك البقعة المليئة بالدرارويش . .
 أين نحن من ليالي دمشق وغاداتها من كل فتاة فرنجية
 جندى آخر : أليست معك بقية من خمرك ؟

الجندى الأول : معي . . وأطيب ما يكون شربها في هذا المنعزل
 وقد سجي الليل

الجندي الآخر : مات ما معك

الجندي الأول : مل بنا إلى هذه النخلة فقد أتعبونا في البحث عن

شيخ الإسلام

الآخر : أرى شبحين ألا يكون . . ؟

الأول : فليكن . . لي شربا معنا

(جنديان آخران أخذ منها الشراب وأخذه . .

يتربان وهما يشهدان من شعر خاليع بقطع الصمت

(المخيم)

الجنديان : لقد فتنني فرنجية

انسيم العبير بها يعبق

ففي ثوبها غصن ناعم .

وفي تاجها قر مشرق

فان تك في عينها زرقة

فان سنان القنا أزرق

الأول : ألا تسمع . . مشتاقان قادمان . . إنهما من

جنودنا جنهما الليل واشتد شوقهما إلى نساء الفرنجة

اللائي يرقن عنا . . بنا . وهات الكأس . اليهما . .

إن صوتها لجليل

الآخِر: لا بأس .. فلندركها ولنعد الآن إلى مخيمنا
 نشرب ونغنى، ولنهرب من معركة شيخ الإسلام ..
 هيا .. هيا
 (ينصرف الجنود السكارى وهم يغنون في صوت
 مزعج)
 وقطر في عجب من أمرهم ثم يندفع أحد جنود
 قطار إليه)

قطر: من؟

الكردي: عرنك الكردي

قطر: أقبل (يتقدم الكردي) .. ما وراءك

الكردي: جنود الصالح إسماعيل ورجاله ومعهم الأمراء من
 حلب وحمص ودمشق خفوا الآن لمداهمة شيخ
 الإسلام في خيمته

قطر: أوائي أنت؟

الكردي: خذ حذرك .. وأخير الشيخ وأيتظ زوجته
 وأطفاله ..

قطر: عد إلى اتباعي وبلغهم .. وأعدوا أنفسكم
 وحفز كل كمين وطاقبهم أجمعين .. خذوا الأهبة
 وانتظروا إشارتي

الكردى : سمعا وطاعة (ت يقدم الشيخ في خطوات منتهدة
فيلح الكردى وهو يمرق كالسهم)

العـ : ماذا جد يا قطن؟

قطن : ياسيدى .. أين أولادك؟

العـ : إنهم فى خيمتهم نائمون

قطن : إن صاحب دمشق قد حشد جموعه ليرغموك

على العودة

العـ : هيات

قطن : لقد أعددت لكل شىء عدته

(تسمع ضوضاء وجلبة من بعيد)

العـ : إنهم آتون

(تقترب الجلبة)

(يقدم نائب الصالح إسماعيل وحوله الأمراء

وخلفه الجنود)

النائب : (يتقدم) . أما ترعوى يا ابن عبد السلام . . .

فرغت من إثارة دمشق فجئت تشير الكرك ،

وغدا تشعلها نارا فى مصر ولا أستبعد أن تذهب

الى بغداد

الْعَزْر : (في ثبات المعتز) أحسن الله بي إذ وفقني الى
الخروج من البلد المسمى سلطانه

النسائب : أطلق السلطان سراحك من السجن وتطلق لسانك
في الإساءة اليه

الْعَزْر : حمايته ثورة العامة على أن يخلى سبيلي ... دعوني
أحقق أمل المسلمين .

النسائب : أنت الذي تحقق صالح الإسلام والأوطان ؟

الْعَزْر : نعم ... أنا وأمثالي من العلماء العاملين

النسائب : لقد أجاز علماء دمشق ما عقده السلطان من
معاهدات ومخالفات

الْعَزْر : لإهم علماء السوء

النسائب : لإهم لا يقولون دراية عنك ... وإهم يعرفون

وجوب طاعة السلطان (وأطيعوا الله وأطيعوا

الرسول وأولى الأمر منكم)

الْعَزْر : لإهم يعرفون الحكم عن مواضعه .. فقل لصاحب

دمشق وصنيعة الفرنجة: إنه لا طاعة لمخلوق في معصية

الخالق

النسائب : أنت مصر على الخروج الى مصر ؟

المـــــــز : ومصر على أن أستعين برجالها في رد الكائدين
للشرق والمغتصبين لحقوقه

النــــائب : ينبغي لك أن تراجع نفسك .. وتعلم أنك في
قبضتي الآن وأستطيع إن أحملك ملففا في خيمتك
هذه كما أمر السلطان

العـــــــز : إنه واهم في قوته (في تهكم) هلا صرفتها يا نائب
رب دمشق إلى نائب رب السماء

قطـــــــر : (في عجب ودهشة) نائب رب السماء ؟ يا اللبلاء ..

العـــــــز : وشر البلية ما يضحك .. إن ملك التار يزعم أنه
نائب رب السماء ويدعو المسلمين إلى الدخول في
طاعته. ابن قوة سلطانك؟ إنها في شغل بسوق السلاح
وحشد المتعاضد إلى الفرنجة .. دعونا نعمل لله في
سبيل الشرق (يلتفت إلى الأمراء) وأتم يا أمراء
الشام أكرهتم معه؟ أما تصيحون النخوة الإسلامية
والدم العربي حتى تستردوا قسلاخ الشقيف
والصفاء؟

النــــائب : لقد غرك بالسلطان حلم أطال لك في حبله

العـــــــز : عهدى به الضيق بالنصح ... والرضا بالتغريب

النائب : لم يبق في قوس الصبر منزع
 العـز : لقد قلنا ما كلمة عاملة سذنب دونها الى آخر رمق
 في حياتنا

النائب : لم يبق الا أن أمر جنودي بحمل خيمتك هذه الى
 دمشق وردك الى غيابة السجن

العـز : يا صاحب القوة .. القوة الواهية .. السجن أحب
 الى من الاستكانه الى طاعة الحاكم الأخرق الذي
 يبيع بلاده للاعداء لقاء عرض زائل وهون
 موهوم .. يرجو أن يتغلب به على ملوك المسلمين

النائب : يا رجال .. يا جنود .. (يشير الى الخيمة)
 (قطز يهتف بمد أن سمع وهو في تخف عنهم)

قطـز : يا رجال الليل .. يا جنود النيل ،
 (يسرع جنود قطز من كمينهم ويهجمون على جنود
 دمشق ويساعدونهم في ذلك الدراويش)

قطـز : عليهم ايها البواسل .. واجعلوا من جماجمهم وجشهم
 مواطنًا لاقدامكم .. وهيا بنا الى القاهرة .. هيا .. هيا
 (تحف الدراويش بالشيخ ويحملونه على محفة
 ويهتفون)

الى القاهرة .. الى القاهرة

(ستار)

الفصل الثالث

منزل الشيخ الون بحارة الميضة بحي الجمالية
جوار خانقاه الصوفية (بيت العبادة) الوقت
أصيل . أريكة بنفساء المنزل حولها حشيات
وكراسي وخلفه مرتفع محاط بسور خشبي يصعد
إليه على درجتين : باب يواجه الباب الخارجي
للمنزل .

(طالبان يدخلان ويقفان قرب أريكة الشيخ ..
يبدو الخادم ومعه منفضة)

الطالب الأول (لزميله) : أظن الشيخ وقد جدت هذه الأحداث
سيؤجل حديث العصر ؟

الثاني : تظن .. ؟ إن بعض الظن مضیعة

الخادم : مرحبا . معذرة .. سأنفض التراب

الطالب الأول : هل تأجل حديث العصر ؟

الخادم: (لم يفهم) أذن العصر و صليت مؤتما

الطالب الثانى : أمكم الشيخ ؟

الخادم: نعم . . (و يأخذ الخادم فى إزالة التراب

(يقدم ابن دقيق العيد)

الأول : هذا ابن دقيق العيد (ويهمس فى أذن صاحبه)

أرنى على وجهه علام التآثر

الثانى : صه

ابن دقيق العيد : السلام عليكم

الطالب الثانى : وعليك السلام

ابن دقيق : أين شيخنا العز (الطالبان لا يجيبان)

(يلانفت ابن دقيق العيد إلى الخادم الذى

يتوقف شيئاً)

الخادم: سأذهب لإحضار القهوة

ابن دقيق : لا يزال شيخنا فى خلوته ؟

الخادم: أنه . . . (يتريث) سأذهب لآتيكم بالقهوة

ابن دقيق : أقول لك شيخنا فى خلوته ؟

الخادم: الشيخ . . . ؟

ابن دقيق : لماذا أنت مرتبك ؟

- الخادم: أقول الحق.. لا أريد أن يخرج الشيخ اليوم
- ابن دقيق: لماذا.. تكلم
- الخادم: وماذا تصنع لو تكلمت؟
- ابن دقيق: أهناك ما يعقد لسانك؟
- الخادم: (ينظر الى الطالبين نظراً حذراً) أتعرفهما يا سيدي
- الطالبان: (في صوت واحد) أفصح.. إننا من تلاميذ الشيخ
- ابن دقيق: لا بأس عليك منهما
- الخادم: مرت بنا عصابة من المماليك ورأيت في أعينهم الشر
- ابن دقيق: على الشيخ؟
- الخادم: كانوا يحملون العصي والخناجر
- ابن دقيق: العصي والخناجر؟!
- الخادم: وفي أسرع من لمع البصر قلت لهم إن الشيخ ذهب إلى المدرسة الصالحة هناك بين القصرين فانصرفوا معجبين وحمدت الله على إزاحة شرهم
- ابن دقيق: هل بلغت الشيخ؟
- الخادم: لو علم الشيخ.. إذن لخرج اليهم.. لأنه لا يتهيب أحداً ولا يخشى جموع المماليك

ابن دقيق : حقا . . أولياء الله لا خوف عليهم . . إن الله معه
 الخادم : ومعكم يا سيدي ، لا كانت مخاوفات المباليك . . .
 الطالبان : لتأذن لنا حتى ندرك هذه الشريعة . . عسانا
 نسمع شرها

(يبدو الشيخ من الباب الداخلي)

الخادم : هذا هو سيدي الشيخ
 الجميع : (يبدو عليهم الاهتمام) وقاه الله شر أعدائه
 الشيخ : السلام عليكم يا أبناء
 الجميع : وعلى شيخنا السلام
 الشيخ : ألم يحضر غيركم ؟ هيه . . إن الكرام قليل
 ابن دقيق : سيدي الشيخ . . (لا يسمع الشيخ)
 الشيخ : اجلسوا (يأخذ كل مجلسه) يا ابن دقيق العبد .
 أراك مهموما . . هل دقت عليك مسألة في العلم
 ابن دقيق : كيف . . لقد سمعت علينا ما صعب ويسرت العسير
 من المعضلات والمشكلات

العـ : ما أبرك . بي ا (يلتفت الى الطالبين) إن مع
 العسر يسرا

الطالب الأول : يا سيدي لا يكن أمر الفوغاء غمة عليك

ابن دقيق : إنهم يبتغواوات
 الطالب الثاني : سيرد كيدهم في نحرهم
 الع — ز : أجل ضيقت على الظالمين حيلهم ودافعت بغيرهم
 ابن دقيق : حياك الله وأدامك حتى يعتدل بك ميزان العدل
 في هذا البلد

الطالب الأول : لقي الناس الأمرين
 الع — ز : لقد رميت بأخر سهمهم
 ابن دقيق : أجد شيء من أساليب المقاومة ؟
 الع — ز : ألم تعلم ؟

ابن دقيق : كنت في شغل ثم قضيت وقتا مع شيخ المالكية
 أبي عمرو بن الحاجب
 الع — ز : هل قص عليك أخبار الكرك ورحلته وما
 جرى ؟

ابن دقيق : نعم . . . ومعه في خانقاه الصوفية أبو الحسن
 الشاذلي مارا بالقاهرة في طريقه إلى الاسكندرية
 قادمًا من الحج، وهما في شوق إلى لقائك
 الع — ز : وما منعك أن تدعوهما إلى منزلي ؟

ابن دقيق : دعوتهما فقالا : إنك في شغل بتدبير القضاء
وأمر الفتيا

الـ : من اليوم لن اشتغل بالقضاء . ألم أقل لك إنى
رمت بآخر سهم ؟

ابن دقيق : هل اعتزلت القضاء بعد فرح الناس بعودتك إليه ؟
الـ : . . . يا بنى . . . لن أكون مطية لأغراض نائب
السلطنة

ابن دقيق : فهمت السر

الـ : أى سر ؟

ابن دقيق : سر التظاهر من أتباع نائب السلطنة

الـ : متى كان هذا ؟

ابن دقيق : بلغنى الخادم حين قدمت الآن

الـ : (فى استخفاف) :

زعم الشروذق أن سيقتل/ مربعا

أبشر بطول سلامته يا مربع

(يلتفت إلى الطالبين) أتتا رسولاى إلى أستاذ

الصوفية أبى الحسن الشاذلى وصديقى شيخ المالكية

ابن الحاجب . اذها اليها لئننى فى انتظار مقدم

ابنى عبداللطيف من مهمة

ابن دقيق : هلا بعثت إلى حتى أذهب معه ؟

العم : كان الوقت ضيقا (ياتفت الى الطالبين) هيا . هيا

الطالبان : (معا) : سمعا .. (ينصرفان)

ابن دقيق : ولدك شرف الدين عبد اللطيف .. أين مكانه؟ وما

مهمته؟ مرنى أذهب إليه

العم : تعرف أن نائب السلطنة بنى طباخخانه فوق مسجد

القاهرة ، ولقد حكمت بإسقاطه ونزات عن

القضاء وأرسلت بمن يهدمون دار طباخه وزمره وعلی

رأسهم ولدى عبد اللطيف

ابن دقيق : وجب أن أقوم من فوري لأدرك ..

العم : إننى فى حاجة إليك الآن

ابن دقيق : ستجدنى عند أمرك ورأيك

العم : يا بنى .. إن السلطان نجم الدين قد استكثر من

المماليك وأنت تعلم أنه اشترى ألفا وأصمكتهم

الروضة .. وترفهم ببلغ درجة أثقلت مالية الدولة،

ونجم الدين مرهق بالمرض .. ونائب السلطنة ينفق

باليمن والشمال .

ابن دقيق : وأدهى من ذلك أن جاريتة شجر الدر استغلت

حركة تطهير الفساد ، ونسخر قوانا وقوى الأمة
في مدافعة الصائبيين والتتار . . من أجل هذا
كانت رحلتى إلى مصر .

(يدخل قطز فى ارتياع)

قطز : السلام على سيدى الشيخ . . والسلام على ابن
دقيق العيد

القطز : و عليك السلام يا قطز . اجلس . (يجلس قطز

على حشية .) شغلتك أمفاتن القصور عن الحضور

قطز : معاذ الله أن يشغلى عنك شاغل

ابن دقيق : شغلك حبك . . وإخلاصك لكبير مهالك شجر

الدر . إنها تملك الجارية التى تحبها عساها تقربك

إلى منى قلبك ... إنها فتاة جميلة ، أليس كذلك ؟

قطز : أراك تقسو على . . ما كان الحب ليثنيى عن

واجبى الدينى بله الوطنى

ابن دقيق : كل المهالك ذلك الرجل

قطز : إن مهر لها فى عنقى دين أى دين . . لقد آوتى

من تشرد وكستنى من عرى وإنتى من نسل ملوك

ابن دقيق : مملوك يريد أن يعلو إلى درجة الملوك

قطر : أجيل ياسيدي . .

الع : ماذا أعد السلطان من أمور وماذا أبرم ؟

قطر : أعلم أن الصالح أيوب غاد على سفير إلى الشام

ليستشفى هناك ، وأن نفسه متغيرة عليك لتكرر

اعزالك القضاء ، وزاد تغيرة لأنك أغضبت نائب

السلطنة وأمرت بدم طباخاته وان شجر الدر

وهي ذات حيل . . بلغها أنك غير راض عن

تصرفاتها .

ابن دقيق : وأنت تصانعها لأنها تملك الجارية التي تهواها . .

وتدأب ليلا ونهارا للحصول على رضاها .

قطر : التي تتحدث عنها إن هي إلا ابنة خالي أسرت

أنا وهي ، وتصرفت بنا المقادير بيعا وشراء حتى

غدوت أنا مملوكا لا يبك التركاني وابنة خالي مملوكة

لشجر الدر

ابن دقيق : معذرة يا قطر ، ما كنت أعلم

الع : عرفت يابن دقيق العبد . . أن قطزا له نسب وصهر

في الملوك . وأن من تعنيها ابنة خاله اغتصبا ولذا

أعدهما الأحرار من

ابن دقيق : لك العذر يا قطن.

قطن : أرجو أن تكتم عنى هذا

ولا بد من كذب فى الهوى

إذا كان درء الأذى بالكذب

العز : وعليك أن تحمل رسالة منى إلى السلطان

قطن : أبلغها بنفسى؟

العز : لك الوسيلة .. فتخيرها كما تشاء

قطن : أمر سيدى

(العز يصفق)

الخادم : أجل ياسيدى

العز : قلم وقرطاس ودواة (يذهب الخادم لإحضارها)

(يدخل عبد اللطيف على والده فىرى قطن فى تغير وجهه)

العز : لا عليك منه يا ولدى .. هو على عهدك به . إنه

معنا . (تهدياً ثائرة عبد اللطيف) . ماذا صنعت ؟

عبد اللطيف : انتهى كل شىء .. هدمت الطباخانة . ولقى الناس

هذا الصنع بالحمد والشكر . هتف الهاتفون

بحياتك

(يقدم الخادم ومعه الدواة والقرطاس والقلم)

العز : هات .. (يتناول ويكتب)

«(إلى الصالح نجم الدين من العزيز بن عبد السلام)
 إن الإسلام في خطر، والسلطان في خطر. والإسلام
 باق والسلطان فان . فليتظار السلطان أيهما
 يؤثر والسلام»

(تعلو أصوات شيئا قسيما يطوى الرسالة بعد أن
 يحتمها على عجله) يا قحطان اتصل هذه إلى السلطان
 عساه يتحول عن سفره

ابن دقيق : شاقته مواكب النصر في دمشق . أيام أن طوح
 بملك الصالح إسماعيل

قطر : السلطان نجم الدين لا يشوقه إلا الشفاء ، والأطباء
 وخصفوا الشام بطبيب الهراء

ابن دقيق : والمماليك خدعهم المال

قطر : فيهم من لم تخدعه زخارف السلطان ولا سعة المال

عبد اللطيف : أظنك منهم ١٤

الم : نعم يا عبد اللطيف . . . إلى شأنك

(ينصرف عبد اللطيف بعد أن يحيي الحاضرين)

وأنت يا قحطان على بركة الله وأنفذ هذه الرسالة إلى

السلطان

ابن دقيق : واحذر أن تصل إليها أي يد

قطر : أرسل متحايلا ولا توصه

الع : كان الله لنا ولك يا ولدي . . . على بركة الله

(ينصرف قطر)

ابن دقيق : ياسيدي اتظن الصالح أيوب يرضى عن بيع المماليك؟

الع : سبق أن فاتحته وأفهمته أن المماليك اشتروا من

بيت المال . . .

ابن دقيق : كان ذلك؟

الع : نعم . . أبت له وجهة نظري وهو وقف الاسلام

من تصرفاتهم وحقهم علينا كأناسي ومواطنين

ابن دقيق : إنه يؤثر الأتراك والاكراد ويصانعهم

الع : ولا يمانع في أن نفص خزائن الدولة بالمال

ابن دقيق : يرى إنفاذ ذلك شاقا ويخشى عواقب تدمر أمراء

المماليك . . . أي يمكن التنفيذ؟

الع : الأمر يسير . . من الآن نرسل مناديا تحت مراقبتك

ومن الغد نجلس في سوق الرقيق . . وعلى كل ملوك

أن يقدم بما يملك قيمة ما يمتق به حتى يغدو

حرا وتنفق ما نحصل عليه في صالح المسلمين

ابن دقيق : ونائب السلطنة ؟

الـ : سيكون أول من يدفع . . إن موعدهم الصبح . .

أليس الصبح بقريب ؟ هيا . . هيا . . واستأجر

مناديا ينادى فى الأسواق . . عجل، عجل

ابن دقيق : بعد قليل سينطلق المنادى . . وأعوان نائب

السلطنة وجواسيسه يملأون الأزقة والحارات

ويطربون إليه هذا النبا وهو موقور من هدم

الطباخانة وعزله .

الـ : سيكون أضعف من ذبابة . . وستذهب حيله فى

وهن ما نسج العنكبوت . . هيا . . هيا . . عجل

ابن دقيق : على السمع والطاعة . . سأدبر ذلك وأعود سريعا

(مخرج وبأخذ التفكير مأخذه من الشيخ العز . .

يقدم أبو الحسن الشاذلى وعمرو بن الحاجب فى

خرقة المتصوفة ومعهم عبد العظيم المنذرى . . .

ويسمع النداء خارج المنزل بعيدا)

أبو الحسن : السلام على سلطان الملأمة

الـ : وعلى شيخ الطريقة ر عالم الحقيقة ثم على شيخ

المالكية السلام . . تفضلا . . تفضلا . . على

الرحب والسمة . اجلس يا عبيد العظيم

الشاذلي : طال شرقنا اليك

ابن الحاجب : وشقت على أيام بعدت فيها عنك

العـــــــــــــــــز : يا ابن الحاجب أفرغت من تأليف كتاب الكافية؟

نسيت أن أسالك يوم حضرت إلى القاهرة .

ابن الحاجب : الحمد لله . . لا عليك فأنت مشغول بوظائف

الأحداث

العـــــــــــــــــز : (للشاذلي) . حجج مبرور وعود حميد . . كيف

حال الصوفية يا شيخ الشاذلية ومضى . الاسكندرية؟

الشاذلي : بخير . . وهمنا أن تكون راضي النفس مطمئن البال

العـــــــــــــــــز : كيف الاطمئنان وما حققنا للإسلام شيئا؟

الشاذلي : كان الله لك . . إن رحلتني في داخل البلاد المصرية

وأيامي التي قضيتها في حجج هذا العام

أوقفتنى على مقدار ما يعلقه المسلمون عليك من

الآمل

العـــــــــــــــــز : على أنا؟ . . يا عجبا كان عليهم أن يرجوا على يدك

الخير وأنت في جماعة من العلماء الصالحين

وعلى رأسهم أبو العباس المرسي والشيخ عبد العظيم
المنذري وأمثالهم من سادة العلوم الشرعية والعرفية
وامراء الفهوم الربانية من كل ذي ورع كامل وبصيرة
نفاذة . . . أتم ارباب البصائر

الشاذلي : حفظك الله يا سلطان العلماء . . . لقد أتى شوقي
وحنيني إليك أن أمر بمصر في طريق عائدا من الحج
الى الاسكندرية دون أن ألقاك

المرسي : كيف وأنت هنا بالقرب من منزلي . . . كنت
أود أن أذهب إليك حافيا حاسر الرأس لأنك
وافد من بيت الله الحرام . . .

الشاذلي : إنفينا كل إكرام في خاتماه الصوفية وسعدنا فيها
المرسي : ان هذا البيت مؤسس على السعادة

المنذري : أجل . . . أسسه (سعيد السعداء) أحد رجال
المنتصر الفاطمي فلما استقر صلاح الدين الايوبي
في مصر أحاله الى دار للعبادة برسم الصوفية
وأجرى عليه الأوقاف

الشاذلي : إذن فهو أول خاتماه في الديار المصرية . . . لقد
أعجبني من النازلين فيه أنهم أهل علم وورع وصلاح .

القوم ، فلا أجد من يتكلم عليه وينزل عنى أشكالا
حتى وردت علينا وما قطعك عنى إلا أيام الحج .
لقد أزلت عنا كل ما أشكل ، ورأيت الناس
يدعون إلى باب الله . . وأنت ...

الشاذلى : لا تخجلنا . .

(يدخل ابن دقيق العيد ماشيا على طرف أصابعه)

العم : وأنت يا أبا الحسن تدخلهم على الله

ابن دقيق : (كأنه أراد أن يعرف بمقدمه) صدقت يا سيدي
الشيخ . . والله ما رأيت أعرف بالله من

الشيخ الشاذلى

أبو الحسن : وأنت أيضا تمدحني يا تقي الدين يا ابن دقيق العيد
يا تقي العلماء ونخر مصر بشهادة شيخك العم ؟

المنذرى : أنت لاشك قطب الزمان

الشاذلى : . . والله لقد يسألونني عن المسألة لا يكون

لها جواب عندي

العم : فترى الجواب مسطرا في الحصير والحائط

المنذرى : تعالى الله . . واهب المنن

العم : لقد وسعت للسالكين الرحاب . وأتيت وأنت

الضرب بالعجب العجيب ، وأطنبت في علم الحقيقة
وطرقت كل باب . . يازين العارفين .

و تسمع جلابة وضوضاء . . بهم ابن دقيق اليد شم
ينفض متوجها إلى الباب الخارجى . . .

العـز : أريد أن تبقى في القاهرة أياما قبل أن تسافر
إلى الإسكندرية

الشاذلى : على أن تأذن لى فى سفر ابن الحاجب معى .

العـز : لا بأس . . فالقاهرة تروج بالأحداث . . وابن

الحاجب يضيق بمثل هذا الصراع القاسى . . إنه
يهوى الهدوء إلى محابره ومؤلفاته . . أليس كذلك

باب الحاجب ؟

ابن الحاجب : هو ذاك ، فلم يبق لى فى العمر إلا بقية أريد أن

أقضيها فى العلم والعبادة، بعيدا عن صخب الناس
وأحداثهم المروعة المؤسفة . (يلتفت ابن الحاجب

إلى المنذرى) ويقرنى على هذا الشيخ

عبد العظيم المنذرى

العـز : المنذرى فاقك فى الاعتكاف . وإنه لا يغادر

المدرسة الكاملة

الشاذلي : أحق ما بلغني ؟
 المنذرى : وما الذي بلغك ؟
 الشاذلي : روى لي أن ابنك مات فأحضر لتصلي عليه في
 المدرسة فلم تزد على أن ودعته بعد الصلاة بدمعة
 ثم عكفت على إلقاء درسك ولم تسر في جنازته
 (تبدو طوارق العجوبة ويسبقها ابن دقيق العيد)

ابن دقيق : السلطان نجم الدين أيوب قادم . . . على محفة .
 العسبر : أيمن أن يكون قطار قد بلغه الرسالة ؟
 ابن دقيق : ما أظن ذلك . . . يحسن أن تلقاه بلين القول . .
 إن حدثك في عزل نائب السلطنة

الشاذلي : إن تكون هي مهادة في حق الله . . . قبل أن يقدم
 السلطان أحب أن أكرم ضيفي بأبعادهم عن
 لقاء من لا يوفون بحق الله . . . ألا تتفضلون
 إلى خلوتي ؟

الشاذلي : أريد منك ألا تفاظ للحكام وأن تردهم بالتي هي
 أحسن ، وجادلهم بما يقوم وما هو أقوم

ابن الحاجب : هذا ما أردته من العز . . . ولم يلق لي بالألا .

٤٠ بن دقيق : أطمع في بقائكم بحضرة الشيخ والسلطان، عسى الله

أن يجرى على يديكم عدول شيخنا ورجوعه إلى
قضاء القاهرة والوجه القبلي

الشاذلي : لا بأس إن رضى العز

العز : إن أعود إلى مجلس القضاء وإن نزل السلطان
عن ملكه لي

الشاذلي : على رسلك

الأذن (يقدم) : مولانا . . . الصالح نجم الدين أيوب
العز : ليتفضل

(يتقدم ابن دقيق العيد ومعه المنذرى وابن الحاجب
ويظل الشاذلي والعز في مكانهما ، حتى إذا قرب
السلطان قام الشيخان وأجلسه العز بينهما بعده
التحية والتسليم)

العز : كيف حال سلطان مصر ؟

نجم الدين : حال ينقصها . . . ورضى سلطان العلماء (العز لا يجيب)

الشاذلي : رضى الله عنك ما أرضيت العلماء وعملت بارشادهم
في دينك ودنياك

نجم الدين : وهل لي أن أخالفهم فأقول ما نهى الله عنه ؟

المـــــــر : (في حدة) لقد ركنت إلى بطانتك من
المهاليك والمحيطين بدهاليزك

نجم الدين : أنت تعرف قول الله : (هل جزاء الاحسان
إلا الاحسان) والمهاليك البحرية طاونوني حين
وقعت في شرك الأسر أنا وجاريتي شجر الدر
عند مقدمي من الشام إلى مصر لتولى شأنها ، بدلا
من أخي العادل الذي كان صغيرا ، فما يسعى إلا
الاحسان إليهم

المـــــــر : وإن أساءوا ؟

نجم الدين : أخذتهم بذنبهم

المـــــــر : إذن فما بال نائب السلطنة يبنى الطبلخانة فوق
مسجد القاهرة ولا تأخذه بذنبه ؟

نجم الدين (يصمت قليلا) : وما بالك تعزل القضاء وتقضى
بعزله وما أذنت بذلك

المـــــــر : لا يسعى أن تأخذني رافة في دين الله

الشاذلي : بعض الحدة يا سلطانان بالله عليك . . . وإلا
تركنا مجلسك

نجم الدين : يا شيخ الصوفية . . . لقد اتخذت من العز مغزة
لمصر ووليت القضاء وبنيت مدرسة بين القصرين

ودعوت شيخ الشافعية لالقاء الدروس فيها ،
وأمرت بأن يخطب العز في جامع عمرو بن العاص
حتى أعوض عليه ما فقدته من خطابة

جامع دمشق

العز : وأقيمت قلعة الروضة ومنتزهاتها، وتحولت عن قلعة
الجبل واشتريت آلاف الممالك وأعرفت في إرضاء
أهوائهم ونسيت . . .

نجم الدين : نسيت ماذا ؟

العز : نسيت كل شيء . . . إلا ...

نجم الدين : إلا إقامة المدارس الصالحة ، والآن تدرس فيها
المذاهب الأربعة . وعمارة أرض الروضة . . . أنت
الذي نسيت أنني انتقمتم الإسلام والمسلمين من

الصالح إسماعيل وأصبحت دمشق تابعة لمصر

العز : هل ضاقت بكم أبنية قلعة صلاح الدين الأيوبي
حتى تسرف في الانفاق وتنشي القصور لهؤلاء

الممالك الذين أبطرتهم النعمة ومردهم الترف

الشاذلي : إنه الأمر الواقع

ابن الحاجب : يا شيخ الاسلام . . . ألا يحمد منه الإصلاح والتعمير

المسألة : يا ابن الحاجب . . لو كنت رأيت بذخ الممالك
 انقمت عليهم احتجاج المال و صرفه في وجود
 ما أنزل الله بها من سلطان . . الصيد واللهم
 والجواري . . والطامة الكبرى الخانات !
 نجم الدين : الخانات ؟

المسألة : نعم الخانات والزينات . . أنسيت يوم العيد
 والجنود حوليك والأمرأة تقبل الأرض
 بين يديك (بحدة) يا نجم الدين . . ما حجتك عند
 الله إذا قال لك : ألم أبوى . لك ملك مصر ثم تبيع
 الخنور وغيرها ؟

الشاذلي : نعوذ بالله
 نجم الدين : ياسيدي أنا ما عملت هذا . . إنه من زمان أبي
 المسألة : أنت ممن يقولون : إنا وجدنا آباءنا على أمة .
 ابن الحاجب : لا عذر لك أيها السلطان
 الشاذلي : إلا هذا يا سلطان مصر و كفاية الله في أرضه
 نجم الدين : من اللية سأرسم بأبطال الخانات
 المسألة : وتعمل على مقاومة الخنور والفقور
 نجم الدين : هو ذلك . . وأرجو أن تعود إلى مجلس القضاء

العلم : لن أعود إليه أبدا .

نجم الدين : كيف . . وإن رجلك الحسن ، ورغبت إليك ؟

الشاذلي : أرى الشيخ مصرا فليكتف السلطان بأن يواصل

الدرس في المدرسة الصالحية .

نجم الدين : حتى يراجع نفسه .

الشاذلي : كل يوم هو في شأن . . أليس كذلك يا عو الدين ؟

العلم : إن أهدافي لم تتحقق بعد . . وأنا من اليوم سأعمل

لتحقيقها .

نجم الدين : وأنا معك ، والله معنا

ابن الحاجب : ولينصرن الله من ينصره

الشاذلي : أريدك أن تشهدنا على أهدافك حتى نأخذ من

السلطان موثقا بالعمل عليها

العلم : أهدافي . . توحيد كلمة المسلمين ، وتكوين جبهة

قوية من ملوك الشرق . وطرده الصليبيين من الشام ،

وردهم عن محاولاتهم في الاستيلاء على مصر ،

وصد غارات التتار

نجم الدين : تلك غايتي وما أتمنى

العلم : يعلم السلطان أن المتمنى لا يدرك غايته إلا

إلا اذا قدم العمل

الشاذلى : وقل اعملوا فسيرى الله عملكم

تجيم الدين : سنعمل . . وقد عملنا

العـــــــــــــــــز : وأنا سأرقب . .

تجيم الدين : (بعد قليل) . ونائب السلطنة ؟

العـــــــــــــــــز : لا أقبل فيه رجاء ، وإنى لأرد كل شفيع فيه

الشاذلى : لهذا وقت آخر

تجيم الدين : إن رأيتم ذلك فأنا عند رأيكم . .

العـــــــــــــــــز : أريد أن يقوم فى سوق الرقيق كغيره من

المماليك، ويدفع من المال الذى يتصرف فيه مقدار

ما يعتق به

تجيم الدين (يهيم بالوقوف) : ليأذن لى سلطان العلماء فى أن

ينزل شيخ الصوفية وعالم المالكية ومن معهما فى

ضيافتى . . . ولك ما ترى فى المماليك

العـــــــــــــــــز : الرأى للشرع وصالح مصر

الشاذلى : ونحن ضيوف اخانقاه إلى أن نغادرها إلى

الاسكندرية . . أزف وقت القراءة والذكر . .

فانذهب إلى بيت العبادة وضيافة الله

(يقوم السلطان ويودع في شبه صمت
يهود ابن دقيق العيد وابن الحاجب وعبد العظيم
المنذرى إلى مكان العز وأبي الحسن الشاذلى وهما
في مقامهما)

الشاذلى : ليسمع لى سلطان العلماء . . أو ليصحبنا
إلى الخانقاه

الـ : بنفسى أن أجلس معكما ساعة فى بيت العبادة . .

سألحق بكما بعد قليل

(يخرج أبو الحسن ومن معه ويقوده العز حتى الباب
ويعود بعد التوديع وهو غارق فى التفكير . .
ثم يتجه إلى خلوته . . يدخل الخادم ويأخذ فى تنهيد
الكراسى وإعداد الحشايا)

الخادم (يتحدث نفسه فى صوت مسموع) : الصالح أيوب

يوسع على خدمه ويسكن الترك فى قصور مشيدة
وأنا . . أنا خادم سلطان العلماء أقضى النهار
وزلقتا من الليل أنفض غبار السافيات من جبل
المقطم . . الحمد لله على السراء والضراء .

(يتقدم نحوه عبد اللطيف ابن العز، فيسمع الخادم

- يحدث نفسه . . فيتوقف قريبا منه)
- الخادم : ليتنى كنت مملوكا لأيوب أو حتى لعز الدين
أيبك التركمانى
- (يرمى بالمنفضة على الحشية ويلتفت فى ضجر
فيرى عبد اللطيف .. يؤخذ الخادم بالمفاجأة)
- الخادم : (فى ارتياح) : ابن شيخنا، عبد اللطيف
عبد اللطيف : لماذا تذكر الصالح أيوب ؟
- الخادم : لا كانت أيامه
عبد اللطيف : له ؟ هل منع عنك إمارة أو حرمك ولاية ؟
- الخادم : إن هى إلا خواطر عابرة . . لقد كان هنا
الصالح أيوب
- عبد اللطيف : وطلبت منه أن يملك نائب السلطنة فأبى ؟
(يضحك ويربت كتف الخادم)
- يخيل لى أنك طامع فى أن تتولى نيابة السلطنة بدلا
من المعزول
- الخادم : أتسخر منى يا بن شيخى ؟
- عبد اللطيف : لا .. وحياة الأتراك الذين أصاروا القاهرة
مساخر ومهازل، وسخرت لهم الأموال

الخادم : وحق أبيك ليصبح نادمين

عبد اللطيف : ولما ذا تذهب نفسك حمرات ؟

الخادم : أشد ما أنا خائف من عصاباتهم التي تزدهني ليلا

ونهارا وتحمين إيقاع الأذى بالشيخ والدك
سلطان العلماء وقاهر الدخلاء

عبد اللطيف : (في ابتسام) : وأين شجاعتك وأمالك الشديده؟

الخادم : كبرت سنى

عبد اللطيف : إذن صبرا على ضرأيوب

الخادم : صبرا... ذكرتى

عبد اللطيف : أى شىء تذكرته

الخادم : سمعت أحد الشعراء وقد وفد على مجلس الشيخ

ومعه جمع من القاهرة يرفعون شكواهم ويستجيرون

عبد اللطيف : أتذكر شيئا مما سمعت ؟

الخادم : أذكر (يتريك قليلا) آه...

الصالح المرتضى أيوب أكثر من ترك بدولته ياشر محبوب

قد أخذ الله أيوبا بفعلته فالتاس كلمو فى ضرأيوب

عبد اللطيف : إذن فاحمد الله على أنك بعيد عن محنة أيوب . .
وأعوان أيوب

الخادم : الحمد لله . .

عبد اللطيف : عليك إذن أن تلحق بالشيخ في خلوته وتجهز له
ماء وضوئه

الخادم : وأنت ؟

عبد اللطيف : دعني هنا . . عسى أن يأتي أحد الطلاب . . أو
بعض الراغبين في لقاء الشيخ

الخادم : لا بأس . . (يمضي غير بعيد ثم يعود) سيدي . .
أخشى عليك من

عبد اللطيف : لا تخش شيئاً . . امض . . (يمضي الخادم)

(باتفت عبد اللطيف فاذا بنائب السلطنة وهو شاهر

سيفه والغضب يقطر من سحذته)

قائب السلطنة : يا بن الشيخ . . أين والدك ؟

عبد اللطيف : وماذا تريد منه ؟

قائب السلطنة : هذا الشيخ عطل مصالحنا، وهدم ما أقمنا، وحرص

علينا العامة، وأثقل على السلطان

عبد اللطيف : أثقل عليك . . أم أثقل على السلطان ؟

نائب السلطنة : بأى حق يعزاني عن نيابة السلطنة؟ وبأى حق ينادى علينا بأمر هذا الشيخ لتباع في الأسواق ونحن ملوك الأرض؟

عبد اللطيف : الأرض لله يورثها من يشاء من عباده الأحرار
نائب للسلطنة : ماذا تقول ؟

عبد اللطيف : القول ما قال الشيخ .. لا يصح لكم بيع ولا شراء ولا زواج .

نائب السلطنة : (في لين بعد أن يغمد سيفه) : يا ولدى .. قل لو الدك سأقطعها ضياعا وقصورا .. ولك مع ما تشاء ..
خذ هذه وكن رسولاً إليه (يمد يده بالبدره)

عبد اللطيف : حذار ثم حذار من هذا (يرمى بالبدره في احتقار)
لقد عقد والدى العزم على أن يعقد لكم مجلساً في سوق الرقيق وينادى عليكم وتجمع الأموال لبيت مال المسلمين، وتكسر حدتكم وتثوب نفوسكم إلى الرشده .

نائب السلطنة (في دهش) : ثم ماذا يا ابن الشيخ ؟

عبد اللطيف : تحصلون على عتقكم بطريق شرعى

نائب السلطنة : في ذلك ما يغضب السلطان

عبد اللطيف : السلطان رجع عن رأيه فيكم بعد أن أعلنه والدى
بأنه إن لم يهرب إلى ذلك خرج من القاهرة ووافق
الشيخ والعلامة والمصلح والتجار ونادى المنادى
نائب السلطنة : نحن الأمراء... كيف نباع؟ .. أين والدك؟
عبد اللطيف : ماذا تريد بأبي؟ .

(يقبل الشيخ في بيته) ثم يمشى الهوينى وهو يتلو
آيات من كتاب الله . . . ويسمع طرفاً من حوار
ابنه ونائب السلطنة، ويكون قطر قد قدم من الباب
الخارجى متخفياً)

العز (لنائب السلطان) : ما أتى بك هنا؟ . أما سمعت المنادى؟
النائب : أى شىء تعمل؟
العز : أنادى هلككم فى الأسواق
النائب : فى ماذا تصرف الثمن؟
العز : فى مصالح المسلمين
النائب : فمن يقبض الثمن؟
العز : أنا

النائب : أنت مصر على هذه الغلظة، وتكدير حياتنا
وإهدار مصالحتنا؟

العز (بعد أن يمس ابنه في إذنه) : إني لا أخشى شيئا
في سبيل الله

(يرتعد عبد اللطيف ويتعلق بأبيه)

يا ولدي أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله
(يتقدم قطز في خنفة ويسمع الكلمة الأخيرة)

نائب السلطنة : بصنيبك هذا حل دمك

(يرفع يده في حدة ويسل سيفه ليهوى به على
الشيخ . . وفي اللحظة الأخيرة يصد قطز هذه
الضربة بسيفه ، وبضربة أخرى ينزع السلاح
من يده)

(يؤخذ نائب السلطنة وتخور قواه)

قطز : مرني أضرب عنقه

نائب السلطنة : (في فزع وتوسل وسكاء) : إغف عني يا سلطان
العلماء . . . إغف عني . . إغف عني

العز : في سوق الرقيق . . . غدا في سوق الرقيق

« مستار »

الفصل الرابع

بيت الوزارة بالقاهرة . حجرة يوصل إليها بحر ، بها
نوافذ صغيرة فيها أرائك . علق بجوانبها بعض
السيوف وعلى منضدة وضع فوق غلالة
سوداء مصحف حلى غلافه بالذهب ، على منضدة
أخرى محبرة وقلم وصحائف وإضمامات تأخذ
الداخل منها رهبة الانعزال والغموض . . .
على بابها حارسان شديدان قتلتا سواعدهما .
يفتح الباب قليلا . . يدخل الحارسان

الحارس الأول : هجع الناس وشق علينا الوقوف وليس في الممر
ما نستريح عليه

الحارس الثاني : أخشى أن يحضر سيف الدين على حين بختة فيقد
أضلاعنا بسيفه الذي أطاح رؤوس أمراء المماليك

الحارس الأول : ما أرى السلطان سيف الدين قطز في حاجة إلى

السهر وقد استولى على عرش مصر وخالع عليا المنصور ابن أستاذه عز الدين أيبك التركي، وسيره هو وأهله بعيدا عن القاهرة .

(يخرج كل منهما كرسيًا إلى الباب . يجلسان في تشوف وحذر)

الحارس الأول (في خوف) : لا تخف ...

الحارس الثاني (في خوف) لا تخف أنت

(تسمع ههههه شجرة وخفق خفيف فيقف كل منهما معدا سلاحه)

الحارس الأول (يضحك) : إنها عزة شجرة حركها الريح .

الحارس الثاني : كل شيء يوحى بالخوف ، حتى الشجرة تريد أن تسأل من غصونها سيوفا علينا ؟

(يعودان إلى مكانيهما)

الحارس الأول : سيف الدين قطز موفور الحظ .

الحارس الثاني : قيض الله له شيخ الاسلام العز ابن عبد السلام

فاقترح في مجمع العلماء والأمرء بالقلعة أن يلي السلطنة نائبها .

الحارس الأول: مصر وأحداث الشرق في حاجة إلى سلطان حازم
قوى الشكيمة لا يتهيب .

الحارس الثاني: سمعت (يلتفت حوايه في حذر) ركبت ديدانا
على حجرة الاجتماع بل الاجتماعات

الحارس الأول: ماذا سمعت ؟

الحارس الثاني: ملوك الشام بحثوا برسالة ضمنوها استجداء المعونة
من مصر . وأنهم يستغيثون . ولهذا اقترح شيخ
الإسلام العز قولية قطز

الحارس الأول: قل . . مولانا السلطان المظفر

الحارس الثاني: ما يسمعنا أحد . . لقد دوى صوت الشيخ (لا بد
للناس من سلطان قادر يقاتل عن المسلمين) ويهزم
التيار . أورد آخر بأن عليا المنصور بن أيبك
التركي صبي لا يعرف شيئا . . وقطز نائب
السلطنة إذا تولى عرش مصر استطاع جمع كلمة

القادة والمحاربين ورد التيار

الحارس الأول: لقد والله لقينا ما لقينا وشهدت مصر العجائب
في السنوات الماضية .

الحارس الثاني: من يوم أن مات السلطان نجم الدين سنة ٦٤٧
وكانت المعارك دائرة بيننا وبين الصليبيين

الحارس الأول: رحم الله الصالح أيوب . . على فكرة ما أثير في الاجتماع .

الحارس الثاني: اجتماعات .. قلت لك

• الأول: اجتماعات .. تذكرت أهوال الأشهر التي تولت فيها

شجرة الدر زوج الصالح وضربت السكة باسمها وكانت العلامة والمناشير والتواقيع باسمها بعد أن عاونها المماليك .. حتى الصالحية ، على قتل توران شاه ولم يقض في الحكم غير سبعين يوماً .

الحارس الثاني: وانتهى الأمر بقتل زوجها . أيبك التركاني .. أتظل مصر مضيعة لكل فتاك وغدار غلاب .

الحارس الأول: ولا تنس أن شيخ الإسلام لم يوافق على تولية امرأة وكأني كان يستعجل الأيام التي يتولى فيها
قطـــــــر

الحارس الثاني: أتذكر أن خليفة بغداد — رحم الله الخليفة — أرسل يعاقب رجال مصر ويقول إن كان ما بقي عندكم رجل تولونه فقولوا لنا نرسل اليكم رجلاً .

الحارس الأول: ولهذا تنازلت شجرة الدر زوجها أيبك التركاني .

فكان أول من أسس دولة المماليك، ولما أراد أن يستقل بالحكم دبرت قتله .

الحارس الثاني : حكم . . إنه أراد أن يرجع إلى زوجته (أم علي) فضاقت المرأة وكان ما كان (إن كيدهن عظيم)

الحارس الأول: وثأر منها قطز الذي كان مخلصا لاستيادته وقتلت شجرة الدر . وألقيت في مزبلة غير مستورة العورة، وأقيم ابنه (علي) بولاية قطز

الحارس الثاني : ما لنا يا أخي نتذكر هذه الصور المخيفة والأحداث المحزنة . . أما يكفي خوفنا الذي يكاد يقتلنا ونحن أحياء . . هلا نخضنا في حديث جارية ؟ أو قصة حسناء مما يروى عن غانيات المماليك في حى الروضة ؟

الحارس الأول: أسمع خطا قريبة ؟

الحارس الثاني : عساها تكون هرة

(يسمع صوت أقدام فيتأهب الحارسان)

يقدم بيبرس البندقدارى ومعه ابن دقيق

(العيد)

- جيبرس : أيها الحارسان . . ما هذا . . من فتح الباب ؟
- الحارسان : (في تلعثم) إنه . . إنه الريح .
- جيبرس : تنحيا (يلكم أحدهم) ولا يدخل أحد (يمضى الحارسان ويفلق جيبرس الباب خلفهما ويقدم كرسيًا لابن دقيق العيد . ثم يجلس إلى جواره ويلتفت إليه .)
- أتلومني في سفرى إلى الشام ، وأنا الذى أنفت أن أقف فى صفوف شممت من ورائها تأمرا على المسلمين وخاصة المصريين
- ابن دقيق : وكان من الخير لك ولمصر أن عدت الى قطر .
- جيبرس : ولكن قطرا بعد أن خلع ابن أستاذة تحين الفرصة وأسرف فى قتل من بقى من الاعوان . . وكان الامراء قد خرجوا للصيد . . أيرضى ذلك العز ؟
- ابن دقيق : المهم توحيد كلمة المسلمين والدفاع عن الإسلام ومصر الآن موضع الأمل وموطن العز منذ ستة . . ٦٤ . . والشيخ أرهق نفسه فى سبيل إعلاء كلمة الإسلام وتوحيد الصفوف . وماجم كل ظالم ويفضله أضحى الضرائب تنفق فى صالح المصريين

وخير المسلمين .. وكم كان موفقا في مؤتمرات
العلماء — بتوحيد الآراء .. ولا تنس يا بيبرس
كفاحه في إنشاء دار الوعظ

بيبرس : لقد أسخط الوعاظ

ابن دقيق : لأنه اشترط أن يختبر الواعظ في حفظ القرآن الكريم

بيبرس : إنك تلميذ الشيخ ، وعن المخلصين المروجين له ..

حتى في الإغلاط علينا

ابن دقيق : الشيخ في آخر أيامه وقد مرت به مآزم ومآزق

تضطره إلى هذه الشدة ولا تنس أنه حزن كثيرا

لموت صديقه ابن الحاجب وما برح حزينا على

رغم مضي السنين

بيبرس : رحم الله ابن الحاجب .. وأظنه لا يزال حزينا

على وفاة حبيبه الحسن الشاذلي

ابن دقيق : أطال الله بقاء شيخنا .. يا بيبرس انت كفي

تقلبا في البلاد وراه الأطماع وفيما تعهد به سيف

الدين قطز ما يطمئن على مستقبلك واستقرارك

بيبرس : حقا .. إن الأحداث تقضي بالتعاون والفترة

التي تجتازها مصر توجب علينا - ولو إلى حين -

نسيان مآربنا

- ابن دقيق : تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي
 بيبرس : آه .. وفي النفس حاجات
- ابن دقيق : يا بيبرس .. التتار ملكوا من الشرق أحسنه
 خصوبة وأهلا ..
- بيبرس : نعم .. أغاروا على ما وراء النهر وخراسان
 والعراق العجمي وأذربيجان وبلاد الري
- ابن دقيق : يا ويلهم أقاموا دولة ملوفا الرعب والتخريب
 والتقتيل .
- بيبرس : لعنة الله على (جنكيز خان) الذي دوخ البلاد في
 حكم دام عشرين عاما ثم خلف بعده (هولاكو)
- ابن دقيق : أهلكه الله .. عبر جيشه الفرات وقضى على
 (بغداد) والخلافة ، وغدر بالخليفة المستعصم
 العباسي ومثل به بعد أن أمنه .. إنهم لا إيمان
 لهم مزقوا الشام ، وها هو ذا سلطان دمشق يستغيث
 بـبصر
- بيبرس : مصر التي حمت الإسلام وهزمت الصليبيين وسجنت
 لويس التاسع . إنها أحداث تقطع كبدي وتفري
 قلبي وتهدم حميتي .

ابن دقيق : وفي هذا ما يحتم اتحادكما واعتصامكما بحبل الله
وقطع دابر التفرق انظر مصر ملاذ العباد ومرادا
لثقافة الاسلامية التي غربت شمسا في بغداد .

بيبرس : لا أكتفك .. في نفسى شيء من شيخك العز

ابن دقيق : شيخى وشيخك وشيخ المسلمين

بيبرس : أجل .. أجل .. لكن تولية سيف الدين قطز

تمت بمؤامرة من شيخى وشيخك وشيخ المسلمين

ابن دقيق : تسميها مؤامرة .. واسمها مؤامرة .. فلتجعلها

منك موالاة ومعاونة في سبيل مصر والشرق .

قل أخا صت وانتهيت !

بيبرس : أخا صت لمصر وللشرق . وهذا سيفى وكتاب الله

شاهد على أن أعمل للاسلام حتى آخر رمق من

حياتى .

ابن دقيق : وبذلك يرضى عنك شيخ الاسلام

بيبرس : وأين مكان شيخ الاسلام ؟

ابن دقيق : إنه آت هنا

بيبرس : هنا فى هذه الحجرة كان يجتمع بتقطز

ابن دقيق : لمصر وللاسلام والمسلمين

- بيبرس : وسأجتمع بهما لمصر وللإسلام المسلمين
- ابن دقيق : حيت وأهنيك بما أقطعك إياه قطو
- بيبرس : تعنى مقاطعة قلبوب .. إنها كما يقول الأول
شغلت شمالى وبقيت يمينى فارغة
- ابن دقيق : فلتشغل يمينك بجماعم التتار ولتجعل من رؤوسهم
أكرا تلعب بها صوالجك .. (يسمع نقر على
الباب .. يدخل الحارس)
- الحارس : شيخ الإسلام
- (بيبرس وابن دقيق : يأخذان الإهبة ويمضيان إلى الشيخ
ويعودان خلفه ثم يجلسان بعده وقد أخذ منه الأعيام)
- الـ : (فى صوت خافت) : يا بيبرس أرسلت إليك
ابن دقيق العيد لأن الموقف فى حاجة إليك
- بيبرس : أنا مجند فى سبيل مصر .. ومواهبى كلها رهن بما
يشير به الشيخ
- ابن دقيق : إن بيبرس يا سيدى الشيخ .. يتحرق شوقا إلى
لقاء التتار وحبيش هولاكو - الذى مزق الشام
وطوح ببغداد .
- الـ : هولاكو .. يهدد مصر .. آخر حصنى يعتز به

الاسلام والمسلمون (لابن دقيق العيد) لعل
بيبرس قد اطمانت نفسه وأرضيته وأرضاه قطز

بيبرس : كل حق لي ضربت عنه صفحا .. وسأعمل إلى
جانب سيف الدين قطز حفاظا على الوطن

العز : إنها دعوة الدين وواجب الوطن وحق الشرق ..
يا بيبرس . كفى ما جرّه علينا تفرق سلاطين المسلمين ..

لقد مكنوا طولا كوا من إتمام حلقات الشناعات
التي بدأها جنكيزخان بالقضاء على طائفة
الاسماعيلية - والاستيلاء على قلاعها والانسياب
في موطن الاسلام (يسمت الشيخ في حزن)
مزقت الشام .. وقضى على الخلافة وأخاف على مصر

بيبرس : أرجو أن تدعو لنا بالتوفيق في جهاد العدو

العز : سأدعو .. وأدعو أن يوفقكم الله في جهاد أنفسكم

وكبج مطامعكم . آه .. تقوس ظهري ..
وأصبحت هامة اليوم أو غد . أمضيت في مصر
قراءة العشرين عاما أكافح الأطماع والأهواء ..
إن أريد إلا الإصلاح .

بيبرس : ما دمت فينا .. فلن تسقط لنا راية وأنت صاحب الدعوة المجابة .

العز : أريد أن أتبين عمليكم

بيبرس : اطمئن يا شيخ الاسلام

العز : أين انتصارات صلاح الدين الأيوبي .. آه ..
أرهق التفرق الدولة الأيوبية وقضى عليها والآن ..

بيبرس : الآن أظلمت مصر دولة المماليك

العز : فليدفع شر التتار و لينتقم مصر شيلاها قطز و بيبرس

بيبرس : ثق بنا ياسيدي الشيخ .

العز : ليت لي بالحرب قوة . ليتني أقوى على حمل السلاح

بيبرس : أثرك فينا أمضى من سيف و اصدق من جيش .

العز : الحمد لله .. وانت يا بن دقيق العيد .. من الغد .. أذن

في الوعاظ والخطباء والائمة بالدعوة للجهاد . ولتكن
خطبهم في حث المصريين على جمع الاموال والزاد
وليقدم كل ما يوجد وما تسمح به نفسه .

بيبرس : لناخذ الاموال قسرا .

العز : حذار من التضيق على الناس يا بيبرس .

ابن دقيق : انت ياسيدي الشيخ رئيس دار الوعظ فلتوجه الى

الوعاظ والخطباء مكتوبا برأيك .

العـ : أما عندي فتواي في مجلس الانقاذ .. ومؤتمر العلماء
وفي عهد الحكام السابقين وان احيد عن فتواي
هنالك .

بيبرس : أهداها على ياسيدي لأسمها ثانية .

العـ : أهداها يابن دقيق العيد .. ولتكن شهيدا ..
ولتذكره دائما بأن - الضرائب لا ينبغي ان
ترهق العامة في سبيل كاليات الخاصة

ابن دقيق : (يخرج ورقة من جيبه ويقرأ) ينفق من بيت المال
حتى إذا لم يبق شيء أنفقتم أنتم أيها الامراء ومن
في حكمكم ممن احتججوا الاموال الطائلة .. من
فوائضكم المذهبة وغيرها من الفضة والزينة ،
وتساويتم بالعامه في الملابس :

بيبرس : (محتدا كعادته) : التساوي لا يمكن .

العـ : المساواة .. إلا في الات الحرب فلكم أن تكثروا
منها ما تشاءون واذا لم يبق للجندى سوى فرسه وسلاحه
ساخ للحاكم حينئذ أن يأخذ من أموال العامة
ابن دقيق : ياسيدي الشيخ .. وقت الحرب

العـ : لا ترخص لؤلؤ المالك فاتهم يجمعون فوق طاقة
العامة ويحتجج بعضهم الاموال والذخائر لتنافسهم

إن المال مال الجهاد .. مال الجهاد في سبيل مصر
والشرق لا الجهاد في سبيل الأطماع الفردية ..
إذا هجم العدو على مصر كان لزاما على كل قادر
بل وقادرة أن يتقدم بنفسه ، ونفيسه .

بيبرس : الرأي ماترى .

الحارس : مولاي السلطان .

العـز : (يشير) : تفضل ياسيف الدين .

(يدخل سيف الدين ويده ورق مقوى .. يحيى
ويسلم) لماذا أبطأت ؟

سيف الدين : كنت أقرأ البريد وأراجع بعض الرسائل وأضع
الخطوط .

بيبرس : ولم تشركى معك .

سيف الدين : سأطلعك على كل شيء ، فأنت من الآن ساعدى
الأيمن .

العـز : مهلا يا بيبرس .

بيبرس : لا مهل بعد اليوم .

سيف الدين : تعجبني لطفة بيبرس .. إنها رغبة تدعوه دائما
للجهاد .. أعرفه من أيام الصبا وأعرف أن ثأرتة

لا تبدأ إلا بالجلاد .

ابن دقيق : وهذا مكان البلاء .. إن جيش هولاء
أينعت رؤوسه وحان قطافها .

بيبرس : وإني لصاحبها

العدو : (يتقسم) إن شاء الله

سيف الدين : إن شاء الله - وما النصر إلا من عند الله

(يخرج صحيفة وينشرها أمام بيبرس ويشير إلى
بعض الأماكن)

هنا عين جالوت .

بيبرس : نعم أحسن مكان وأدق خطة، فاذا انهزم العدو

من هنا (يشير إلى الرسم الجغرافي) تابعته بفيلق

وأتيت على بقاياها

العدو : قل إن شاء الله

بيبرس : إن شاء الله

العدو : جميل .. هذا الموضع على مقربة من مكان موقعة

اليرموك المشرقة للتاريخ ومعركة حطين التي انصر

فيها صلاح الدين

ابن دقيق : ومتى يصل جيشنا هناك حتى نعيد الإسلام عزه ؟ . .

ونجعل التتار جنودا للمسلمين . بعد الانتصار

الـ : بعد أن يتم التأهب

بيبرس : لا . لا . لا . نحدد من الآن . . يوشك عام ٦٥٨

أن يمضي نصفه .

سيف الدين : آمل أن تلقى العدو هناك في رمضان

بيبرس : والناس صيام ؟

الـ : به سينصركم الله

ابن دقيق : إن الصوم صبر والجهاد صبر ، وإن يهزم صبران

الـ : وإذا عزمتهم فتوكلوا على الله

سيف الدين : اللقاء في العشر الأواخر من رمضان

بيبرس : هو ذاك (يدخل أحد أتباع بيبرس في درعه

وسلحه بعد أن يستأذن ويهمس في أذن بيبرس

فيستأذن بيبرس) آه . . أمر يوجب انصرافي

الآن . أتأذنون ؟

سيف الدين : لا بأس وإلى عودة

(ينصرف بيبرس في توديع سريع)

سيف الدين : ياسيدي الشيخ هل استقر رأيك ؟

الـ : في ماذا يا ولدي ؟

سيف الدين : في الخلافة ياسيدي ، قضى عليها في بغداد ، وخير
حصن لها الآن هو مصر

الـ : ياسيف الدين .. موعدها العام القادم بعد أن
يهزم التتار

ابن دقيق : إن شاء الله

الـ : أمل أن يتم ذلك قبل أن أموت

سيف الدين : أطال الله بقاء الشيخ

الـ : يا ولدي .. الموت غاية كل حي (تدمع عينه)

إن الثمانين وبلغتها قد أخرجت سمعي إلى ترجماد

سيف الدين : كأنك تنعاني وأنا قادم على القتال ألا تشجعني

الـ : يا ولدي .. لاخوف من لقاء الله

بن دقيق : على ذكر الموت .. خير لقاءه في الاستشهاد وإنها

الجنة أفضل طريق إليها ما أظلمته السيوف .. وإني

أحذرك أطماع ببيرس وشراسته ..

صيف الدين : أوه . . لا يضرك . . أخذنا من الحياة حلوها وبلونا
مرها . . يا صديقي علم الله ويشهد الشيخ . .
لا أجمع الراية والحكم في يدي إلا لأهزم التتار
وبعد ذلك . . .

العمرو : ماذا . . ؟

صيف الدين : أترك الأمر لبيبرس

العمرو : دع الهوا جس . . وامض على بركة الله

ابن دقيق : اكنتم هذا عن الجند والقادة وإلا التفوا حول

بيبرس . . والاختلاف يقضى على توفيق القيادة
وتوحيدها

العمرو : الرأي ما قال ابن دقيق العبيد . . هل من جديد
في البريد ؟

صيف الدين : مزعجات . . صراخ من تكريت وتأوه من حلب

وأنين من دمشق ، شنائع ترومي ، وفظائع تمثل في
بلاد الساحل ، وأيضا في بغداد

العمرو : آه من عصيان الناصح . . آه يا بلد الرشيد . .

يا الحصون المسلمين آه من رجال جعلوا بأسمهم
بينهم حتى مكنوا الأعداء منهم .

ابن دقيق : خفف على نفسك .

المعزة : أمرتهم أمرى بمنعرج الملوى

فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد
الآن يتوجهون الى مصر . وقد كانوا عوناً لمن يكيد لها .
سيف الدين : مصر كفيلة بعونهم والكنانة في حماية الله وسيصبح
الشرق في رعايتها

ابن دقيق : حقق الله بالمصريين للمسلمين الآمال

المعزة : النصر آت والله ضامن له وإلا لا يعبد في أرضه
إنه كتابه وإنه دينه . . تعالى الله . نزله وهوله
حافظ . ولا يأس من روح الله وتأيدته . . ياسيف
الدين إن نصر الله المسلمين على يدك فاحفظ
حقوقهم وارح جانبهم وعليك أن تقيل عثرة
ملوك الشرق أجمعين ، لقد غلبوا على أمرهم وخذعتهم
وعود الأعداء وغرر بهم الدخلاء واستغلبهم
الزلاء .

سيف الدين : ستجدنى فاعلا إن شاء الله . . ولن أقطع أمراً
إلا بمشورتك .

الحارس (يدق الباب ويدخل) : كبير العسس يستأذن
على السلطان .

صيف الدين : ليدخل سريعا (يخرج الحارس)
ابن دقيق : أمر خطير

العسس : ألم تقل ياسيف الدين إنك قضيت على التمرد
والمتمردين ؟

(يدخل كبير العسس وينصرف الحارس)

كبير العسس يتراجع شيئا فشيئا وتأخذه هيبة العز ويخشى
الإفصاح أمامه ، فينهض ليهمس في أذن سيف الدين
في بيت أسود أتباع بيبرس يامولاي السلطان . . .

صيف الدين (مقاطعا) : ارفع صوتك بكل ما عندك (يتحضر

ابن دقيق العيد ويظل شيخ الإسلام على هيئته

يفكر)

ببر العسس : قدم الأمير بيبرس مسرعا إلى المنزل المجاور لبيت

الوزراء حيث كان ينتظره كبير أتباعه وثلة
من أهوانه .

صيف الدين (يلتفت إلى شيخ الإسلام ويرى ارتياح ابن دقيق

دقيق العيد وكأنه يريد أن يطمئن الشيخ على شدة

تحوطه وقوة إمعانه في الرقابة) : وكيف وقفت
على هذا؟

كبير العسس : (يأخذه بعض الحياه) أعفى ...

سيف الدين : ابن عن وسائلك .

كبير العسس : وقفت على أخبار المجتمعين من إحدى الجوارى

سيف الدين : ليس هذا بجديد

كبير العسس : إنما الجديد يا مولاي عودة الأمير بيبرس مسرعاً

مهتماً من بيت الوزارة وهم على أهبة الخروج .

سيف الدين : وأين وجهتهم؟

كبير العسس : قالت لي إنهم سيتجهون الى بيت الوزارة .

سيف الدين : وماذا؟

كبير العسس : لم تعرف إلا أنهم يريدون مقابلتك

ابن دقيق : أتباعه مسلحون .؟

كبير العسس : إنهم لا يضعون السلاح ليلاً ولا نهاراً

سيف الدين (يضحك) : لعلمهم قبل الحرب يريدون أن يقضوا

يوماً في اللهو والصيد ؛ طبعاً أنتم على استعداد .

كبير العسس : أصدرت الأوامر للحرس ، وضاعفت القوة

وأعددت كميناً حول البيت وفي المنافذ (حركة

استخفاف من سيف الدين)

أبن دقيق : أرى سيف الدين غير عاى ؟

سيف الدين : لآنى معد اكل شىء عدته

أبن دقيق : وهل أعددت لمقاومة ببرزى إن خان العهد ؟

سيف الدين : ببرزى ومن معه لاحول لهم ولا طول . . إننا

نخصى عليهم حتى أنفاسهم (يلتفت إلى كبير الشمس)

عد الى رقابتك

كبير الشمس : (وهو يسود أدرأجه) وعزىء بجيشهم الى هنا

بماذا تأمرنى ؟

العز : دعهم ولا تمنهم

(يخرج كبير الشمس ، ويسود الصمت)

أبن دقيق : ياسيف الدين . . أفخرة من ببرزى ؟ . . قد

يكرن نقض العهد ويريد أن يقضى عليك وعائنا . .

واليس يستبعد أن يعارنه سائر الأمراء الموتورين

العز : دعهم ودعنى أقدم اليهم .

سيف الدين : فذاك دى ياميدى الشيخ . . وهناك لن يفأى

منهم واحد إن أرادوا بنا شرا .

(يسمع خفق أقدام وجلبة ، يدخل ببرزى

ووراءه الأمراء)

- بيبرس : السلام عليكم
- الجميع : وعليكم السلام
- بيبرس : حضرت وأعوأني مهى (تشرئب الأعناق وتسود
الرهبة) لشهد الله . .
- ابن دقيق : (في تخوف) على ماذا ؟
- بيبرس : على أننا أخلصنا العزم وصممنا الرأي على قتال التتار
- سيف الدين : حبيتم من أبطال وجزاكم الله على هممكم خيرا
- الجميع : يا بيبرس . . تقدم لأصحابك
- سيف الدين : وليتقدم كل أمير لأقبل ما بين عينيه
(صوت من بعيد - في مآذن القلعة) الصلاة
خير من النوم . . . [يسود الصمت . .] تتقدم
طائفة أخرى من أعوان سيف الدين في جلبة
- قائد : (في ثورة) أين بيبرس . . لأضرب عنقه (يتلفت
باحثا عنه) . . يتقدم شيخ الاسلام وسيف
الدين ويمسكون به .
- سيف الدين حذار
- بيبرس : هذا رأسى إن كانت تخالجه خيانة أيها القائد
بن دقيق (يتعلق بالسيف) : إنه لقاء الصفاء على يد شيخ
الاسلام (يصطف الجميع ويقف شيخ الاسلام)

الجميع: يا رجال مصر .. لا ترجعوا تصبئة بغيضة .
 ولا تجعلوا للتفرق بينكم .. كأننا ، وابتعدوا عن
 أنفسكم نزعات الشيطان ونفثات الآبوسة، أنتم على
 أبواب حرب ضروس ، وأمامكم موقعة طاحنة
 إما النصر وهو فخر الأبد وإما الخذلان ولا
 مصير بعده إلا الذلة والخوان . . . يامعشر المصريين
 الشرق أجمع بل العالم كله يرقب ما ينكشف عنه غبار
 الموقعة التي تقرر المصائر وتدفع عن المسلمين
 غائلة التتار . اسمعوا وعوا .

الجميع : سمعنا وأطعنا .. هذه سيوقفنا بين يدك مرها إنها
 عطشى الى دماء التتار .

الجميع: بارك الله فيكم يامعشر المصريين وياحماة الاسلام
 والمسلمين .. إلى صلاة الفجر .. ثم إلى التأهب
 وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . . .

الجميع : عاشت مصر ، عاش الاسلام ، عاش شيخ الاسلام

الجميع: الى عين جالوت . . أنا ضامن لكم على الله النصر
 (الجميع يرددون: إلى عين جالوت . . إلى النصر)